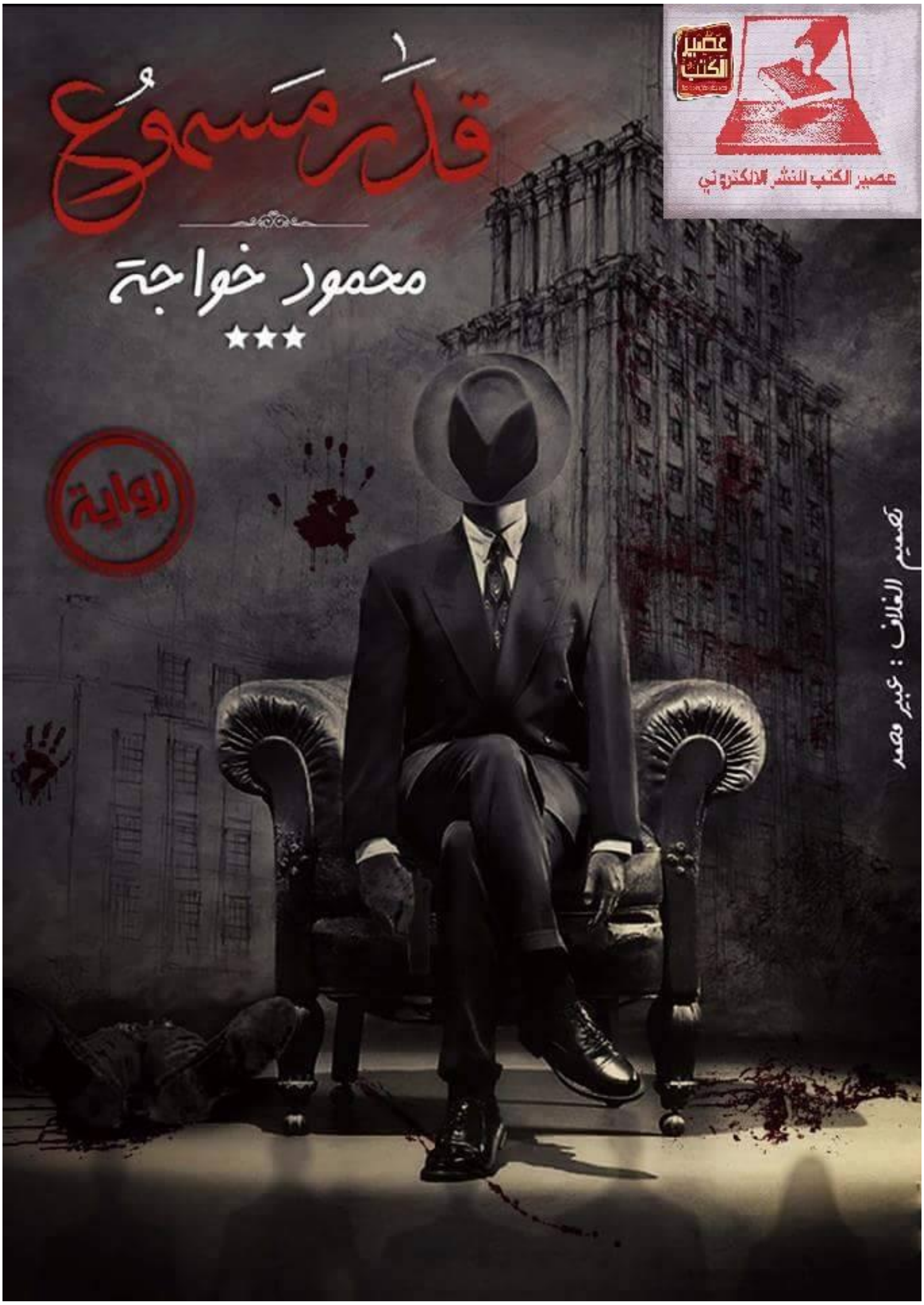

مُقدمة من :

" عصير الكتب للنشر الإلكترونى "

إهداء خاص:

إلى صديقي الأقرب وأخي (عُمر الحضري).. لا أعلم كَيف أشكرك، هذا أقل شيء أستطيع تقديمه إليك مُقارنةً بما فعلتَه معي..

إلى صديقتي وأختي (ياسمين محمد)، لولاكِ ما وصلَتْ تلك الرواية إلى ما ابتغيتُ..
☺

إهداء:

إلى الحياة؛ فهناك من يتمنى أن يعود ولو ثانية واحدة..

إلى الحُرية؛ فهناك من يتمنى أن يخرج من سجنه كي يشعر بالحياة.

إلى الموت؛ فهناك من يتمنى أن تنتهي حياته كي يعرف مقدار الحياة.. وكي يعرف معنى الحُرية.

أهديكم روايتي.

الفصل الأول: تعريف.

1-عبد الله

روايته.. نعم، بعد أكثر من ثلاث سنوات، ها قد قال كَلمة (تمَّت) وابتسامة تعلو ثغره ونظرة شامخة تطل من عينيه،قال بصوت عالٍ للجهاز الذي أمامه:

- التعريف بالكاتب..

فكتبها الجِهاز بمجرد أن نطقها، استطرد قائلًا:

- عبد الله عاطف خفاجة، وُلِدَ عام 2016 بمحافظة القاهرة، له الكثير من الإصدارات على الإنترنت، متوفرة إلكترونيًّا، واسمهم (نيران- همس الكِلاب)، وتلك الرواية التي تحملها بين يديك الآن هي أول رواية ورقية له.

ابتسم أكثر وأكثر، وخَلع نظارته الإلكترونية عن عينيه ووضعها على الطاولة، ثم خَلع السماعات الإلكترونية ووضعها بجانب نظارته، قام من مكانه بمساعدة كُرسيه المطاط الذي بمجرد أن تضغط على زر فيه يجعلك واقفًا في أقل من ثانية، وذهب إلى المطبخ بعدما أمر الخادمة الإلكترونية بعمل كوب من القهوة، والخادمة الإلكترونية هي أحدث إصدارات شَركة (بوشا) للإلكترونيات، تلك التي تأمرها بفعل أي شيء فتفعله، ولكنها ليست حقيقية بل هي مجرد دُمية.. تفعل لك ما تريد في أي وقت.. وعندما تُرهق قليلًا بإمكانك معرفة ذلك من الضوء الأصفر الذي تُضيئه هي، فمعنى ذلك أنها تُريد أن توضع على الشاحن قليلًا..

(عبد الله) هو شَخص انتهت حياته، ولكنه يحاول جاهدًا أن يستعيدها بعدما ألقته الحياةفي غياهب الذكريات، ذكريات كادت أن تُنسيه حياته تمامًا.. بالرغم من ذلك، ألقى الذكريات خَلفه، وبدأ في كتابة الروايات.. كَتب أول رواية له وأنهاها في وقتٍ قياسيّ ومن ثم الثانية، لكن الثالثة هي ما تَعب فيها حقًا، لأكثر من ثلاث سنوات يَكتبها ويَبحث، ولَكن هل سينال ما يستحقه بعد هذا التعب؟

عبد الله حجمه كبير، وَزنه كبير جدًا؛ فهو يأكل بلا رحمة، ويَشرب أيضًا بلا رحمة، حاول أكثر من مرة أن يَمنع نفسه من الأكل، ولكنه لا يستطيع! يَرتدي دائمًا حُلة سمراء تجعله وسيمًا – في نظره – رغم بدانتهإلا أنه شخصية فُكاهية، يعشق المُزاح، وله وجهات نظر تجعلك تُغيّر وجهة نظرك في ثوانٍ، أو بمعنى أصدق وأعمق: يمتلك قُدرة كبيرة على الإقناع.

لديه أخوان أصغر منه في السن.. هما بالنسبة له حياته بأكملها!
قَصير للغاية، نصف شعره تساقط بسبب إهماله لنفسه، يَكره نفسه، لدرجة تصل إلى أنه في كُلِّ عيد ميلاد خاص به يَضرب نفسه، يَضرِب برأسه في الحائط إلى أن يسقط مغشيًا عليه.
تنهد (عبد الله) وقال بصوت عالٍ:

- مُحمد صالح.. اتصال.

يَسمع صوت اتصال فعلًا، فيتأرجح بالكُرسي الذي يجلس عليه، فيسمع صوتًا يأتي من بين أرجاء الصالة:

- ألو.. عبد الله، كيف حالك؟

ابتسم عبد الله قائلًا بانتصار:

- انتهت..

* * *

2- أحمد

استيقظ من نومه بكسلٍ، بعد أكثر من أربعة عشر ساعة من النوم، استيقظ وهو لا يُريد الاستيقاظ أبدًا؛ فالحياة قد انقضَّت عليه وانقلبت، وهو لا يعرف أبدًا لِمَ انقلبت عليه هكذا؟
لقد عَلمته أمه أن يسير بجوار الحائط ولا يَسير في المنتصف أبدًا، وكُلما سألها، أجابته تلك الإجابة اللعينة:

- لأن الحياة ظالمة، مهما سِرت في الخير ولمّا تفتح فاهك، ستأتي إليك وتَدهسك بحذائها.

وكُلما سألها:

- هل للحياة حِذاء يا أمي؟

تَرد عليه أيضًا بابتسامة:

- حِذاء الحياة هو الموت يا بُنيّ.

اهتز السرير مرة أخرى كي يوقظه؛ لقد ضبط مُنبه السرير على السابعة مساءً، وها هي الساعة العاشرة، ويُفكر في أن يستيقظ أو لا يستيقظ!
(أحمد العزالي)، شاب لم يتخطَّ عمرُه الأربعين، ولكن عندما تراه تكاد تَجزم بأنه تخطى الخمسين ببضعة أعوام، بسبب عدم اهتمامه بنفسه.. عدم ارتداء ملابس مُناسبة؛ فالملابس التي يرتديها تكون واسعة جدًّا عليه، شَعره طويل جدًا وتنزل بضع شعيرات صغيرة على جبينه، له لحية كثّة وليست طويلة، جسده نحيف جدًّا، لا يعرف معنى الابتسام أبدًا، منذ ستة أشهر كان أحمد هو أكثر شخص يهتم بنفسه ويعزّها جدًا، ولكن ليس بغرور، لا يُحب الآخرين أبدًا، مُنذ ثلاثة أعوام.. كان أحمد مُتزوجًا من فتاة جميلة بكُل ما تحمله الكلمة من معنى.. استمرت علاقتهما لمدة سنتين ونصف، بعدما أنجبت له ولدًا، بل ملاكًا، اسمه (نور)، كان (نور) بالنسبة لأبيه هو حياته، وزوجة أحمد بالنسبة له هي روحه، ولكن سرعان ما ذهب الاثنان من حياته إلى الأبد.. لقد ماتت زوجته ومات نور.. ماتت حياته وماتت روحه.. حادثة صغيرة جعلتهما يفارقان الحياة دون وداع.. ودون سلام!
لن أستطيع أن أصف لك ما فعله أحمد عندما سمع أن ابنه وزوجته قد ماتا! وإذا وصفت لك لن أستطيع أن أصف لك إحساسه بأن حياته وروحه ذهبا إلى الأبد، ستة أشهر قضاهم أحمد في عذاب؛ ففي كُل ليلة يأتي أحمد على سرير زوجته وينام عليه، وسرعان ما يستيقظ لأجل صوت الطفل الذي يصدر صوتًا مُزعجًا، كان صوت هذا الطفل هو صوت نور، صوته الذي سَجّله قبل وفاته بشهرين فقط، يُصدره الجهاز تُلقائيًا كي يذكِّر أحمد بنور.
وفي الفجر، يَسمع صوت زوجته وهي تقول له: (يا كسول.. ألن تستيقظ؟)، أربع كلمات حفظهم أحمد عن ظهر قَلب، يبكي كُلّ يوم بحرقة عندما يسمع صوتهما؛ فهو لا يستطيع أبدًا أن ينساهما.
سَمع أحمد صَوت الهاتف، ذهب مُسرعًا إليه، لابُد وأنها هي زوجته (رحمة)، أمسكه وبالفعل كانت هي، نعم لا تتعجب، فإن أحمد قام بعمل برنامج يُقلّد صوت زوجته بالضبط، يتكلم وتَرد عليه كأنها زوجته بالضبط.. ضغط على الزر فتكلم:

- ألو.. حبيبتي!

* * *

3- صَفية

في الصَباح.. كانت (صَفية) في كُليتها، بإمكانك أن تعرف من هي من خلال تلك الطرحة التي تُغطي بها شعرها؛ فكُل أصدقائها بالكلية يسخرون منها بسبب ارتدائها للحجاب.. فهي تقريبًا من واحدة من مائة في العالم كُله يَرتدين

الحجاب.. (صَفية) هي الوحيدة التي تُصلي في وَسط الكُلية بسبب هدم المسجد وتحويله لمكتبة، حياة (صَفية) تتلخَّص في أنها مَظلومة ولم تأخذ حقها في حياتها، تسعة عشر عامًا لم تحاول أن تُجادل أمها في موضوع الحجاب.. فإن السبب الرئيسي في أن ترتدي (صَفية) الحِجاب هو والدتها، ولكنها لم تكن مخطئة أبدًا في قرارها هذا!

ارتدت (صَفية) حذاءها الطائر.. من ثم ضغطت على زِر في الجانب الأيمن من الحذاء، ليجعلها تحلق في الأفق، تبتسم هي ولكن سرعان ما تَخيب ابتسامتها عندما تَرى واحدة من الحاقدات عليها بشدة في الكُلية لسبب لا يعلمه إلا الله، تزول ابتسامتها تدريجيًا.. وتنزل من السماء عندما تأمر الحذاء بأن يهبط ببطء.. وتسير خلفها..

لقد كانت الشمس حارقة بحق، الجو حار جدًّا بدرجة لا تُصدق، تُنادي (صَفية) على تلك الفتاة فتستدير إليها:

- نَعم؟

اهتزت أركان (صَفية) بسبب رَد تلك الفتاة القاسي، فلم تعتَد (صَفية) على تلك القسوة من أي أحد:

- هل تعرفينني؟

قالتها (صَفية) بخيبة أمل، فردت الفتاة:

- نعم.. لِمَ توقفيني؟

طأطأت رأسها إلى أسفل وقالت:

- أنا آسفة.

ابتسمت الفتاة ابتسامة شيطانية حقًا، وسارت.. فسمعت (صَفية) كَلمة جعلتها تُفكّر تفكيرًا شيطانيًا، وجعلتها تُفكر أيضًا بأن تذهب إليها وتهشم عِظامها:

- مُسلمة حقيرة!

في تلك اللحظة نظرت (صَفية) إليها..
نظرة تحمل الكثير من التوعّد..
والخُبث!

* * *

4- صَلاح

اقتربت الشمس من المغيب.. وهاهو(صلاح)يجلس على طاولة الصيدلية، واضعًا سماعات في أذنيه ونظارة على عينيه؛ فهو يتحدث مع الفتاة التي يعشقها وتعشقه، يتحدثان في أشياء مُهمة وغير مُهمة، تلك النظارة التي يضعها على عينيه هي مُجرد شاشة صغيرة تجعله يراها، هي أيضا ترتديها كي تراه، فلقد اقترب موعد زواجهما.

(صلاح أبو البر)، ذلك الشاب الذي يمتلك خمسة وعشرين عامًا، طبيب صيدلي، وجهه صارم جدًّا وجاد، عيناه ضيقتان كالصينيين، يَرتدي نظارة طبية تجعله وسيمًا بعض الشيء، يُصفِّف شَعره على الجانب الأيمن، لا لحية له، وها هو يرتدي ملابس صيفية في الشتاء كما هي عادته! كان مُتزوجًا لكنه انفصل عن زوجته التي أحبها بصدق..

يتحدث مع فتاته (روكسان) قائلًا:

- روكسان.. سأسألك سؤالًا..
- تَفضل يا حبيبي!

ابتسم بخُبث وقال:

- ما الذي ترتدينه الآن؟

ضَحكت (روكسان) بخُبث أيضًا وقالت:

- ما الذي تريده يا أحمق؟
- أنا أريد أن أراكِ يا أيتها الجميلة!
- هذا لن يحدث يا صغيري..

قال بخيبة أمل كبيرة:

- وهل سأظل دومًا لا أراكِ حتى بعد أن نتزوج؟
- بالتأكيد ستأتي إلى إيطاليا يومًا بعد الزواج..
- ولكني لا أحب أن نتزوج عن طريق الإنترنت يا (روكسان)!
- هذا لن يغير الواقع، أنا إيطالية وأنت مصري.. والزواج عن طريق الإنترنت يحدث كثيرًا جدًّا، من يتزوج الآن في قاعة وهكذا؛ فهو أحمق.. ويعيش في عالم افتراضي خلقه لنفسه!
- كما تُريدين يا حبيبتي..

يَبتسم (صلاح)، من ثم يَدخل عليه شاب من الواضح أن المُخدرات ألهت عقله وأدخلته في عالمٍ خَطير جدًّا، ابتسم لـ(صلاح) وقال:

- أريدك أن تأتي إليَّمخدر قوي جدًّا.. يجعلني أطير فوق الهَرم!

* * *

5- سَماَح

اقتربت (سَماح) من الجهاز الذي يَقف أمامها، جَلست على الكُرسي وأمرته بأن يمشط لها شعرها، وبالفعل فعل ما أمرته به، قالت بصوت عالٍ:

- هل أنا جميلة الآن؟

أصدر الجِهاز صوتًا جهوريًّا:

- نعم سيدتي.. أنتِ جميلة.

ابتسمت في غرور وقالت:

- إذن، يَجب عليَّ الآن أن أذهب إلى الرجل!

أوقفها الكُرسي، من ثم وَقفت على بُساط صغير وأمرته بأن يَتحرك إلى الأمام.. فعلًا تَحرك قليلًا فأوقفته مسرعة، لتجلس على كُرسي ما وتقول بصوت عالٍ:

- شغّل ذلك..

فعلًا، أُضيء الجهاز بسرعة، فظهر رجلٌ مُتصلب الملامح مُسرعًا لتقول له:

- هل أنت جاهز؟

ابتسم لها.. وأومأ برأسه إيجابًا، فبدأت في خلع ملابسها قِطعة قِطعة، وهو كذلك.. (سَماح) فتاة تَبلغ من العُمر اثنين وعشرين عامًا، تعيش في الإسكندرية، وهبها الله وجهًا جميلًا وجسدًا رائعًا، وجهها قَمري حرفيًا، قصيرة القامة ولكن ليس كثيرًا، نحيفة، تَرتدي ملابس مثيرة دائمًا.. كانت متزوجة وهي في التاسعة عشرة.. ولكن زوجها طلقها بعدما اكتشف خيانتها له مع رَجل ما.. لذلك فهي عاهرة الإنترنت كما يُطلَق عليها دائمًا، لا تستطيع أبدًا أن تقول إنها عاهرة بسبب ملابسها ونظافتها الدائمة؛ فالأموال تُغرقها حرفيًا.. ولكنها تود أن تفعل هكذا من أجل المُتعة.. فقط لا غير!

* * *

الفصل الثانـي: رسالة.

عبد الله

يَجلس (عبد الله) بعدما تساقطت بضع قطرات من أعلى جبينه على مكتب وأمامه الناشر الكبير (مُسعد أبو جبل)، (عبد الله) يشعر بتوتر كبير؛ لأن ذلك الناشر له هيبة كبيرة وعظيمة أمام الكُتَّاب.. للأسف الشديد القراءة والكتابة لازالتا في مستوى متدنٍ جدًّا ومن الصعب أن يقتنع ناشر بأن ينشر لشاب لم يتخطَ عمره الأربعين بعد، أردف (مُسعد) قائلًا:

- أهلًا يا عبد الله.. ما بك؟

تكلم بعدما قتله التوتر:

- لا شيء يا فَندم.. ولكن ينتابني بعض التوتر بسبب هيبة حَضرتك.

وقف (مُسعد) في هيبة كبيرة وغرور كبير جدًّا في نظراته وقال:

- يا عبد الله، لا يهم.. ما الذي أتى بك إلى هُنا؟
- أنا يا أستاذ مُسعد أريد أن أنشر رواية عِندك.. فهل من الممكن أن أعرف ما هي الخُطوات التي يجب أن أتبعها كي أرسل الرواية إلى دار النشر؟
- لا عليك.. هل معك نُسخة من الرواية؟
- بالطبع!

أخرج (عبد الله) جِهازًا كبيرًا، حجمه يشبه حجم كَفّ اليَد.. لا ليس بهاتف.. بل هذا الشيء يُطلق عليه (الكتاب المَحمول) وهذا بداخله كُل الكُتب إلكترونيًّا، ولكن يجب عليك أن تَدفع مالًا كي تتوفر لك نُسخة من الكِتاب، تَكلم مُسعد بعدما أعطاه عبد اللهالجِهاز وبداخله الرواية، من ثم ارتدى (مُسعد) سماعات، وبدأ الجهاز يقرأ بصوت عالٍ:

(بداخل كلّ واحدٍ مِنا حياة، حياة اختارها لنفسه وكَتمها، ولكن تِلك الحياة لن تدوم طويلًا.. فسيأتـي عليها يومٌ وتخرج تلك الحياة من مكمنها بالرغم منا..)

ضَغط (مُسعد) على زِر التوقف، وسأل (عبد الله) سؤالًا:

- أخبرني يا عبد الله، هل تود أن تُنشر الرواية ورقيًّا أم إلكترونيًّا؟

ظهرت ملامح الحيرة على (عبد الله) وهو يقول:

- لا أعلم ما الأفضل.. ولكن الورقي يَعيش أكثر من الإلكتروني!
- هل لديك المال؟

تَقلصت ملامح (عبد الله) وهو يقول:

- وهل سأدفع مالًا؟

ضَحك (مُسعد) حتىاغرورقت عيناه بالدموع، ومن ثم قال بغضب:

- بالتأكيد! فأنت جِئت لأول دار نشر إلكترونية في مِصر والوطن العربي! وتُريد ألا تدفع مالًا؟ عجبي!

أغمض (عبد الله) عينيه في حُزنٍ شديد.. وقال بعدما اهتزت أركانه من تلك الجملة:

- هل من الممكن.. أن أنشر، وتنتظر الأموال قليلًا؟

نظر (مُسعد) لــ(عبد الله) بغضب.. فقام من مكانه مُسرعًا وقال:

- انتهى الكلام.. شَرفت بحضورك..

ومن ثم اتجه ناحية المَكتب وجلس.. وَقف (عبد الله) يتأمله للحظات.. حتى أن عينيه لم تتحملا أكثر من هذا، فذرف دمعة بالرغم عنه..
ثم غادر...

* * *

أحمد
لَمعت عينا (أحمد)، وذرف دموعًا بالرغم عنه بعدما سَمع صَوت ابنه (نور) الذي يُقلّده الجهاز، أخذ أنفاسه بصوت عالٍ؛ فما كان منه إلا أنه قام من مكانه، والجِهاز لازال يُصدر صوت ابنه وزوجته تُصيح بابنها أن يهدأ قليلًا، ولا يهدأ أحمد عن النحيب أبدًا!
أوقف أحمد الجِهاز بعدما قال لزوجته:

- أتمنى أن تكونا في سلام.

أوقف الجِهاز، وسار في شقته التي قاربتالهلاك، ملابسه في كُل مكان بالشقة..
حتىإنه لا يَهتم بنظافة نَفسه، فَكر أكثر من مرة بأن يَنتحر.. ولكن مع الأسف في كُل مرة يَفشل في الانتحار عندما يَسمع صَوت الجِهاز الذي يُقلد صَوت زوجته يقول له:

- سيأتي يومٌ وتبتسم الحياة لك.. فلا تخسرها.

تلك الجُملة كانت تقولها زوجته دائمًا له عندما كان يَشعر بحُزن أو يأس.. زوجته كانت هي الظهر الذي يَستند عليه عندما يَقع، وها قد اختفى الظهر ولم يعد موجودًا أبدًا.
أغمض عينيه سارحًا بذهنه، وبدأ يُفكر في أن يَفتح جِهاز الرسائل الخاص به ويقرأ له الرسائل.. نَشف وجهه، ثم اتجه بخطوات مُترددة إلى الجِهاز، قال بصوتٍ عالٍ:

- اقرأ الرسائل.

* * *

صَفية
عادت (صَفية) إلى البيت.. وكلمات تلك الفتاة لازالت تُطرق في عقلها كالنار في الهشيم، عَرفت اسم الفتاة من صديقة لها، وعَرفت حِسابها على بِرنامج (SoPen) وهذا البرنامج هو عِبارة عن أنك تُكلم أيّ شَخص في العالم بلغتك.. وهو أيضًا يتكلم بلغته، ولكن كل شخص يفهم الآخرمن خلال الترجمة الفورية التي تَحدث.. هذا البرنامج حاز على شُهرة كبيرة في العالم أجمع.. و(صَفية) تُجيد اختراق حِساب أيّ شخص.. بل إن (صَفية) تستطيع أن تَخترق حِساب أي بنك – إسرائيلي – فقط.. وهذا لأنه في العام 2045 قامت مِصر بعَمل اتفاقية سلام وصُلح أبديّ.. وأن لا يتدخل الاثنان في شئون بعضهما.. مثلًا: مِصر ليس لها أي شأن بِما تفعله إسرائيل بفلسطين، حتى لو هَدمت المسجد الأقصى..
فمصر ليس لها أيّ شأن بما تفعله، لِذلك.. أقسمت (صَفية) بأن تنتقم من القَذر الذي وافق على تِلك المهزلة، وأن تنتقم من ذلك البلد الذي بُنيَ على دِماء الأنبياء والشهداء.
سَرقت (صَفية) ما يعادل حوالي مائتي مليار شيكل من خمسة بنوك فقط.. ولكن كُلها كانت تُحول لأراضي فلسطين المحتلة.. فَلم يدخل في جيبها شيكل واحدًا.. فبالرغم من أنها تنتقم من إسرائيل، إلاأنها تعترف بأنها تَسرق.. والسَرقة حرام شَرعًا..
انحدرت الأخلاق.. نسي الناس دينهم.. نسي الناس رَبهم.. نسي الناس بأن ما يفعلونه سوف يجازون عليه يوم الحِساب..
نسي الناس موتهم!
جَلست (صَفية) أمام الجِهاز، وقالت بصوت عالٍ:

- ابحث عن تلك البيانات في كُل بنوك مِصر.

دَخل الجِهاز مُسرعًا على ما طلبته، فقالت بصوت عالٍ مرة أخرى:

- اكتب تلك البيانات، (مارية جِرجس فَوزي)، (مُلحدة)، (تسعة عشر عامًا)، (كُلية آداب جامعة القاهرة).

بالفعل، أخرج لها الجهاز كُل ما تُريده، أخرج الجِهاز صورة (مارية) وكُل شيء عنها.. قال الجِهاز بصوت عالٍ:

- "تمتلك (مارية) اثنين وثلاثين مليون جنيهًا في بنك (.....)".

قَررت (صَفية) أخذ اثنين مليون فقط، لأن الثلاثين مليون جنيهًا ليست الكثير نهائيًا، لذلك قررت أن تكون رحيمة معها قليلًا، لكنها لن تنتهي عند ذلك الحد! فكتبت على الكيبورد شيئًا صغيرًا لـ(مارية) تراه عندما تفتح الجهاز الخاص بها..
كَتبت فأغلقت الجِهاز سريعًا.. لأن جِهاز الرسائل يَطلب منها بأن تستمع لرسالة جديدة!

* * *

صَلاح

ابتسم (صَلاح) للرجل الذي يَقف أمامه في الصيدلية وهو يقول له:

- ماذا تُريد بالضبط؟
- أريد المُخدر يا دُكتور!

تظاهر (صَلاح) بعدم الفهم، فقال له:

- مُخدر ماذا؟

عَقد الرجل حاجبيه، ثم أخرج مُسدس من جَيبه ووجهه ناحية (صَلاح) وهو يقول له:

- اسمع يا دُكتور، أنا أقف لك مُحترمًا، وأنت لا تَدري ما الذي سأفعله بك إن لم تأتِ بالمخدر الآن، أنت من جعلتني أشربه كُلَّ يوم مساءً.. أنت السبب في أن أدمنه.. لذلك يجب عليك أن تحضره إلَيَّحالًا وإلا...

وقَبل أن يَنطق، تَكلم (صلاح) بثقة وغرور خالص:

- ولكنك لن تستطيع قتلي.

تعجب الرجل وهو يُنزل يديه ببطءٍ من أمام (صَلاح) وهو يقول:

- ماذا قُلتَ؟
- نَعم.. لأنني الوحيد الذي يستطيع صناعة هذا المخدر.. وهذا المُخدر أنا من أصنعه بتركيبة معقدة، أنت لن تستطيع وغيرك لن يستطيع فِعله، حتى لو فعلته، فلن يكون مثل مُنتجي.

ثُم دَخل (صلاح) إلى المُختبر، وقام مُسرعًا بفعل خليط من (أستيك أنهدريد) و(المورفين)، هاتان المادتان عِندما تُخلطان ببعضهما تكوّنان مادة اسمها: (الهيروين)، وتلك المادة اختفت منذ أربعة عشر عامًا، أي العام (2034).. وذلك لانتشار (المخدرات الرقمية)، المخدرات الرقمية هي عبارة عن نغمات صغيرة يتم سماعها من الأذنين.. فيتم إرسالإشارة معينة إلى المخ؛ بحيث تكون إشارة الأذن اليُمنى، أقوى من إشارة الأذن اليُسرى؛ فتلك المادة تُعطي نَفس مفعول الهيروين ولكن أقل قليلًا.. المخدرات الرقمية مسموح بها الآن في المُجتمع المِصري.. لكن المخدرات أو (الهيروين) ممنوع منعًا باتًا.. لِذلك يُباع في الخفاء.
وَضع (صَلاح) المَسحوق الأبيض في كيسٍ صغيرٍ، لَصقه جيدًا.. خَرج من المعمل الخاص به، نَظر الرَجل إلى المخدرات فلمعت عيناه، مَدَّ يَده مُسرعًا ولَكن (صلاح) أبعد يده في دَهاء وقال له:

- المال أولًا!

نَظر الرجل إليه في غَضبٍ، أخرج من جيبه حوالي ألف جُنيهٍ فوضعها على الطاولة أمام (صَلاح)، مَدَّ (صَلاح) يَده للرجل فأمسك المَسحوق حَتى لمعت عيناه مرة أخرى، نظراته تقول إلى المسحوق:"لو كُنت رَجلًا لعانقتك"، تَحرك الرجل دون أن ينبس ببنت شِفة.
ضَحك (صَلاح) بِشدة حتى دمعت عيناه، فَسمع صوت بِرنامج الرسائل يقول له:

- لديك رسالة جديدة.

-سَماَح

ارتدت (سَماح) ملابسها.. وَضعت رائحة على ملابسها وجسدها، نِصفها السُفلي يُظهر أكثر مما يُخفي.. نَعم يا صديقي فالعاهرات دومًا كذلك! لكن ماضي (سَماح) كان مُحمّلًا بالكثير من الأسى.. لِذلك قررت هي أن تَظلّ وحيدة.. وتَظل عاهرة!

ارتدت حِذاءها الطائر، تقدمت نَحو الباب بخطوات قلائل.. فَسمعت جِهاز الرسائل يقول لها:

- لديكِ رسالة جديدة.

* * *

رِسالة (عبد الله)

إلى الأستاذ (عبد الله عاطف خفاجة)

مَعك (الشَركة العالمية لِورَش الكتابة)، نَحن يا سيد (عبد الله) شَركة غير مصرية، نعم نَحن نعترفلك بهذا، الاسم فقط هو المصري.. لكن نحن لا .. فنحن شَركة عالمية، تقوم بعمل تحدٍ لجميع الكُتّاب في العالم العربي والغربي.. ولكننا الآن لن نقوم بعمل تَحدٍّ.. بل سنقوم بعمل ورشة كتابية، وأنت من ستقود تِلك الورشة، سنأتي إليك بأطفال وشباب يعشقون الكتابة ويمتلكون مَلكة الكتابة، ولكن لا يستطيعون توظيفها.. لِذلك أنت من سَتقوم بتلك الرحلة معهم.. نَحن نعرف قُدراتك.. ونعرف أنك ستستطيع أن تقوم بتلك المهمة.

انضم إلينا.. فلن تَخسر أي شيء..

إن كُنت تُريد أن تنضم.. فبإمكانك أن تأتي إلى العنوان الآتي يوم الخَميس القادم الساعة التاسعة مساءً..

العنوان: شارع طلعت حَرب، وسط البلد، فُندق (المَصري)

وبالتأكيد سَمعت عن ذَلك الفُندق.. أو مررت من تَحته يومًا وكنت تتمنى أن تَقضي ولو يومًا واحدًا فيه

مع تحيات: سامر أبو العينين

المدير التنفيذي للشَركة

* * *

رِسالة (أحمد)

إلى الأستاذ (أحمد أشرف العزالي)

مَعك (الشَركة العالمية للهندسة والتصميم)، نَحن يا سَيد (أحمد) شَركة غير مصرية، نحن نعترف ونكنّ احترامًا لذلك.. أولًا وقَبل أي شيء، سنعطيك نَبذة عن الشَركة، تِلك الشَركة هي رحلة كِفاح لشخص ما جاهد كي يُنشئها ويجعلها جِسرًا للثقافة.. نُريدك أن تكون واحدًا منا، نَعلم أنك تمر بظروف صعبة الآن نتيجة وفاة امرأتك وابنك.. لكَ كُل تعازينا الحارّة على فقدانهما.. لكن الحياة لازالت تَفتح أبوابها على مصراعيها، فإن لم تدخل من ذلك الباب الآن.. ستَخسر كُلَّ شيء.. ولن يُفتح لك ذلك الباب مُجددًا..

نُريدك أن تأتي وتعرض علينا فكرتك عن الجِهاز الذي صممته لزوجتك والذي يجعلها تتحدث وهي ليست على قيد الحياة، نَعرف أن ذلك الجِهاز متوفر منه الكثير.. ولكن نُريد منك أن تأتي وتفعل لنا شيئًا مثله.. ولكن بطرق مختلفة وأسهل وغير مُعقدة..

نحن شركة تمتد جذورها إلى الصين والجانب الآخر..
إن كُنت تُريد أن تَكون معنا.. فسننتظرك يوم الخميس القادم الساعة التاسعة مساءً في العنوان الآتي:
العنوان: شارع طلعت حَرب، وسط البلد، فُندق (المَصري)
وبالتأكيد سَمعت عن ذَلك الفُندق.. أو مررت من تَحته يومًا وكنت تتمنى أن تَقضي ولو يومًا واحدًا فيه
مع تحيات: سامر أبو العينين
المدير التنفيذي للشَركة

* * *

رِسالة (صَفية)
إلى الأستاذة (صَفية محمود البَكري)
نَحن الشَركة الدولية لاختراق البنوك الإسرائيلية، نَعم يا أستاذة (صفية) فنحن أكبر شَركة تَخترق مواقع وبنوكًا إسرائيلية، لأنهم أعداء الله.. أعداؤنا وأعداؤكم، نُريد أن ننتصر عليهم بعد أن قام الرئيس الأحمق بفعل اتفاقية سلام وصُلح أبدية، نَحن نُرسل الأموال التي نأخذها من البنوك إلى فلسطين وأهلها..
إذن ماذا نُريد نَحن مِنك؟ نَحن نُريدك أن تكوني واحدة منا ومن أسرتنا، نُريدك أن تأتي يوم الخميس الساعة التاسعة مساءً في فُندق المصري، بالتأكيد سمعتِ عنه يومًا ما وتعرفين عنوانه..
سننتظرك يوم الخميس كي تعرفي تفاصيل أكثر.. وكي تكوني واحدة منا.
مع تحيات
سامر أبو العينين

* * *

رِسالة (صَلاح)

إلى الأستاذ (صلاح عابر أبو البَر)
نَحن الشَركة العالمية للقضاء على مُدمني المُخدرات.. نَعم يا أستاذ (صلاح) فنحن شَركة عالمية معروفة في العالم أجمع.. لنا فروع كثيرة، والحمد لله تم القضاء على أكثر من تسعة مليون شخصًا في أكبر دولة في الوطن العربي، نعم هي قَطر.. لقد تم القضاء على كُل المُدمنين بها.. وها نحن نفتتح أول فرع لنا في مِصر.
لِمَ نُحدّثك الآن؟
لأننا نُريدك أن تكون واحدًا منا، نَعرف أنك تُنتج المخدرات الحية التي يكون

مفعولها أضعاف المُخدرات الرقمية.. وتقريبًا أنت الوحيد في مصر بل العالم من ينتجها.. لذلك نُريدك معنا، أن تكون واحدًا منا...
بالتأكيد تتساءل، من المفترض أن نقضي عليك؟ لكننا لن نفعل ذلك، بل سنستغل منتجك وأنك معروف في المنطقة التي تنتج فيها منتجك، سنستغله بطريقة سنخبرك بها حينما نراك يوم الخميس القادم الساعة التاسعة في فُندق المصري.. لابُد وحتمًا أن تأتي.. فإنها فُرصة لك بأن تكون من أكثر الناس غنى في العالم كُله!

لا تَنسَ.. فأنت الشخص الوحيد الذي أرسلنا له ذلك الخِطاب.. وإذا أتت الساعة التاسعة والخمس دقائق ولم تأتِ، سيتم إرسال خِطاب لشخص آخر سيحضر في غضون ثوانٍ..
مع تحيات
(سامر أبو العينين)
المدير التنفيذي للشَركة

** * **

رِسالة (سَماح)

إلى عاهرة الإنترنت (سَماح هارون عيسى)
نَعم يا عزيزتي فلا تتعجبي، نَحن نعرف كُل خبايا الكَون ونعرف أنك أكبر عاهرة إنترنت في مِصر.. رَغم سِنك الصغيرة لكنك أثبتِ جدارتك في ذلك المجال.. نَحن أكبر شركة مواقع إباحية في العالم كُله، نَحن نَستغل كُل فتاة موهوبة في ذلك المجال ونضعها بداخل مُعسكر لمدة لا تقل عن ستة أشهر.. ستعرفين المزيد من التفاصيل عندما تأتين يوم الخميس الساعة التاسعة مساءً بفندق المصري..
تِلك هي فُرصتك الوحيدة يا (سَماح) كي تكوني من أغنى أغنياء العالم..
نقولها لكِ وصدرنا رَحب بكِ.
وإذا أتت الساعة التاسعة والخمس دقائق ولم تأتِ، سيتم إرسال رسالة لعاهرة أخرى.. فنحن لم نرسل أية رسالة لأي شخص آخر!
مع تحيات:
سامر أبو العينين
المدير التنفيذي للشَركة

عبد الله

- ما هذا السَخف؟

نَطقها (عبد الله) بعدما سَمع الرسالة، المشكلة الوحيدة التي لا يواجههاعبد الله، أنه لا يعرف هل ما سمعه سَخف أم حقيقة؟ تنهد وقام من مكانه بمساعدة كُرسيه، جلس على الأريكة الضخمة والتي تقريبًا تستطيع أن تحمل جسده ولا تتكلم، جَسد عبد الله ضخم للغاية، حاول جاهدًا أكثر من مرة أن يتنازل عن الطعام ويعيش في عذاب..
ولكن الطعام لم يعطه فُرصة لذلك!
بَل عاد يأكل بشراهة ونهم، عبد الله لا يمتلك إرادة، لا يمتلك حُبًّا.. عبد الله لا يمتلك أي شيء.. لذلك فهو يعيش حتى يموت، ينتظر الموت الذي سيأتي في يومٍ ما.
لكنه لن يَعرف أبدًا متى وكيف سيأتي؟
ياليته ما جلس! لَقد وقف مرة أخرى على قدميه، ليسير نحو المرآة، بخطوات متثاقلة هرمة، استند على الحائط لسبب يجهله، شَعر بالدوار الشديد.. أخذت أنفاسه تتلاحق بسرعة قاسية، أهذا لأن وزنه كبير؟ أم هي مُجرد نوبة صغيرة كالتي كانت تأتيه عندما كان صغيرًا؟ قَبل أن يُغلق عينيه كان قد اقترب الجهاز الذي يُساعده في الوقوف مرة أخرى على قدميه وإنعاشه بطريقة وبأخرى، فقد استسلم (عبد الله) للأمر الذيأتاه من جسده وهو أن يَفترش على الأرض كالموتى، قبل أن يقع كان الجهاز قد افترشالأرض وهو ينتظر أن يقع، الجهاز عبارة عن مَرتبة مطاطية، عندما تنام عليها لا يحدث لك أي شيء وتحافظ عليك من الكسور والجروح، طولها وعرضها كبيران للغاية وهذه ميزتها.. ولكن الميزة الأكبر أن لها جِهاز تحكم تِلقائيًا، كان يضعه عبد الله في جيب منامته، لذلك فهي تتحرك نحو الذي يحمل الجهاز بسرعة مهولة، ويكون حجمها عندما تَقف دون أي تَحرك رفيع وطويل ولا يأخذ من المكان حيّزًا..
وقع عبد الله على تلك المرتبة المطاطية، لم يمر من الوقت أكثر من خمس دقائق حتىاستفاق عبد الله، أخذ يَنظر إلى السقف بشرود تام؛ وهو يُركّز على كُل ركن فيه، استقرت دمعة على وِجنتيعبد الله وهو يقول في سِرّه:

- سأذهب..

أحمد

- لا أستطيع فَهم تلك الرسالة البتة!

زفر أحمد شهيقًا، بعدما شَعر بالنصب والاحتيال من تلك الشَركة، ولكنه سُرعان ما راجع حِساباته وبدأ فعليًّا في التفكير بأن يَذهب إليهم.
مرة أخرى.. نَظر أحمد إلى المرآة التي كان يقف أمامها مُنذ البداية، بَدأ يَتذكر كُل الظروف التي جعلته هكذا، ليته لم يتذكر!

استيقظ أحمد على صوت زوجته تَصرخ بشدة، لم يفهم أحمد ما الذي يحدث لها، ولكنه سُرعان ما ابتسم بعدما أضاء الأنوار وقال لها:

- *الآن؟*

أومأت برأسها في صعوبة شديدة، ابتسم هو أكثر عندما رأى وجهها، نَظر إلى بطنها ولمعت عيناه، حَملها بين يديه، من دون أن يرتدي أي شيء، نَزل بمنامته ووضعها بداخل السيارة على الأريكة الخلفية، دَخل وقال بصوتٍ عالٍ لمركز التحكم في السيارة:

- *أقرب مَشفى للولادة..*

انطلقت السيارة في سُرعة مهولة، كان هو معها بالخلف ويُطمئنها، يَضع المناديل على وجهها بسبب كَثرة العَرق الذي يفرزه وجهها.. سارت السيارة عن طريق مُحركها الإلكتروني، وهو يجعل السيارة تسير وحدها دون أن يتحكم بها أحدٌ، كانت فرحته تتزايد، ولكن كان ألمها يَكبر ويشتد.. سُرعان ما توقفت السيارة أمام المشفى، نَزل (أحمد) بسُرعة وصاح بصوت عال:

- *نُريد مساعدة.. بسرعة!!!!*

نَزل أربعة أشخاص ومعهم سَرير صَغير، أخرجوا (رَحمة) من السيارة، وضعوها على السرير ومن ثم رَكضوا بها تجاه غُرفة العمليات، لكنه نَظر إليها مرة أخيرة قبل دخولها للغرفة.. وجدها تنظر إليه.. وانسابت دمعة صغيرة من عينيها المسكينتين..

فيصحو هو من عالم الذكريات الذي عاش بداخله..
بدمعة صغيرة انسابت من عينيه المسكينتين..
تجعله يقول كَلمة واحدة فقط..
- "سأذهب".

* * *

صَفية

تأفأفت (صَفية) بعدما سَمعت تلك الرسالة، الحيرة تملأ كيانها.. لا تَعرف هل هذا حلال أم حرام، ولكن بالتأكيد حَلال.. لأن إسرائيل هُم أعداء الله.. يقتلون أطفالًا ويشردون آخرين، يغتصبون النساء ويقتلون رِجالهم، مَن يَقتل شخصًا فبالتأكيد يستحق أسوأ عِقاب له، الموت ليس كفيلًا بأن يَقضي على ظلمه.. فالشر هو شَجرة تمتد بجذورٍ لا تنقطع.. حَتى وإن انقطعت سيظل لها أثرٌ.
بدأت (صَفية) تُفكر أكثر حتى تَشتت تَفكيرها، هُناك حَلٌّ واحدٌ فقط.. أن تَذهب إلى أمها في الخارج.. نَعم! لكنها لن تستطيع أن تفارقها! أخوها ذهب إلى أمريكا منذ عدة سنوات وتركهما دون سؤال ولا كلمة حتىعلى أمه أو أخته الصغيرة.. تدعو له في صلاتها دومًا وتبكي بحرقة بسبب اشتياقها له.. لكن لا حل آخر!
قَفزت (صَفية) من مكانها، هرولت تَجاه الباب.. فتحته وخَرجت للصالة، وجدت أمها جالسة على الأريكة وهي تستمع لمقاطع موسيقية هادئة.. تنحنحت فنظرت لها أمها، تبسمت لها قائلة:

- ما بكِ يا ابنتي؟

تَقدمت (صَفية) بخطوات متأرجحة نَحو المقعد الماثل أمام أمها، جَلست وملامح التوتر تحتويها.. أردفت قائلة:

- هُناك مدير شَركة كَبيرة لسرقة البنوك الإسرائيلية، يُريديني أن أذهب إليه مقر الشركة يوم الخميس القادم ونَجلس سويًّا نَتفق على كُل شيء وأعرف تفاصيل أكثر.. ما رأيك يا أمي؟

ظَهرت ملامح الفَرحة على وجه أمها، لكنها سُرعان ما تغاضت عنها وقالت لها:

- اذهبي يا بُنيتي.. فليجعل الله تلك الشركة سببًا في دخولك الجنة.

* * *

صَلاح

- رائع!

كان تلك أول كِلمة خَرجت من فَم (صَلاح) بعدما سمع الرسالة، لكنه سأل نفسه: هل تلك الشَركة ستفتح عليه أبوابًا من الجحيم.. أم ستجعل الجنة تتدفق من تحت قدميه؟ جَلس على المقعد، رَفع قدميه ومددها على المكتب، ثم استطرد محادثًا نفسه:

- لَكني لن أذهب!

استند بظهره إلى المسند المتواجد على المقعد، أغمض عينيه للحظات، بدأ في التَفكير مرة أخرى فيما قاله، فَتح عينيه فجأة في رُعب وذهول.. أخذ صَدره يعلو ويهبط بسرعة شديدة.
من الواضح أن تَلك الشَركة تمتلك القدرة على التلاعب بأحاسيس ومشاعر الآخرين، ولكن كيف؟
لقد رأى (صلاح) في تلك اللحظات التي أغمض فيها عينيه، رأى شخصًا ما يَرتدي حُلة سوداء، أصلع الرأس، مُتصلب الملامح، يَرتدي نظارة طبية، يَقف وَسط مَسرح كبير وأمامه عدد مهول من البشر، الإضاءة مُسلَّطة عليه هو فقط، قال بصوت عال:

- سيداتي آنساتي ساداتي.. نُرحب بالجبان.. الضعيف.. الغبي.. (صلاح عابر أبو البر).

يَذهب الضوء البسيط على شخصٍ من الواقفين.. لقد كان هو (صلاح) ذاته، يقف وَسط الجمع لا يستطيع فَهم أي شيء، لكن سرعان ما نظر إليه الرجل الواقف على المسرح وهو يشير بإصبعه:

- إن لم تأتِ يوم الخميس، فستكون نهايتك.

أفاق (صلاح) من ذِكرياته، وعلى لسانه ترددت كلمة واحدة فقط:

- سأذهب.

* * *

سَماح

- من هذا القذر الذي أرسل إليَّذلك الخِطاب اللعين!!!

قالتها بغضب كاد أن يُفجّر وجهها، وَقفت من مكانها حتىإنها ألقت جِهاز الرسائل أرضًا، لكن لم يحدث له شيء، اتجهت مُسرعة نحو (غُرفة الكسر)، وتلك

الغُرفة بداخلها أشياء مصنوعة من الزجاج، تكسر واحدة منها عندما تَكون في حالة مزاجية غير رائقة.. هُناك في الغرفة حوالي مائة شيء مصنوع من الزجاج.. كَسرت ثلاثة بغلٍّ شديدٍ، ثم توقفت وبدأت تشعر براحة.. وبدأت حالتها المزاجية في الاعتدال قليلًا، خَرجت من الغرفة، ثم اتجهت نحو الصالة، صالتها مليئة بالأشياء الفخمة، ألوان حوائطها مُريحة للأعصاب، الضوء الأبيض المُشع والذي يُضيء الغرفة يجعل الأعصاب تستكن وتهدأ، جَلست على الأريكة الفخمة صاحبة اللون الأسود، أخرجت سيجارة ووضعتها بين شفتيها الحمرواين فأشعلتها.
سُرعان ما شعرت بالنعاس.. رَفعت قدميها وأرجعت رأسها للوراء، مددت والسيجارة بين يديها، وسُرعان ما غاصت في النوم لسبب مجهول!.
رأت حُلمًا عجيبًا؛ رأت نفسها في مكانٍ عجيبٍ، مكان ليس فيه أي بشري سواها، لا يوجد أي ضوء غير ضوء بسيط مُسلّط عليها لونه برتقالي كالأضواء التي تراها في الشوارع.. نَظرت أمامها بتركيز شديد وجدت شخصًا يقترب منها، يَرتدي حُلة سوداء، أصلع الرأس، مُتصلب الملامح، يَرتدي نظارة طبية، يَنظر إليها بغضبٍ شديد، يقول إليها:

- إن لم تأتِ يوم الخميس القادم.. فستكون نهايتك.

استيقظت بعدما أطلقت صرخة شقت سكون الليل، وعلى لسانها تتردد كلمة واحدة:

- سأذهب!

* * *

الفصل الثالث: مقابلة

يوم الخميس، في تمام الساعة التاسعة مساءً.. فُندق المصري

ما كُل تلك الفخامة؟ فُندق فخم بحق وكأنه قصرٌ كبير الحجم يسكنه ملك عظيم.. قصر مُهيب المنظر وشامخ الطول، يبلغ حوالي مائتين وخمسين طابقًا، وفي كُل طابق هُناك غرفتان.. إلا آخر خمسين طابقًا، وهو يحتوي على أجنحة بها كُل شيء.. جُزء صغير من الجنة الأرضية التي لم يرَها أحد، بداخل كُل غرفة وطابق كُل شيء سواء كان حلالًا أم حرامًا..

جَلس الخمسة أمام بعضهم بداخل الفُندق في الطابق الأرضي، الأضواء المُزعجة والموسيقى الهادئة الرائعة التي يعزفها الراحل (بيتهوفن)، السيمفونية التاسعة تُلقي بكُل ما فيها من روعة على أذن الخمسة الجالسين أمام بعضهم، جَلس (عبد الله) وهو يرتدي قميصًا أسود اللون وبنطالًا أزرق، بِجوار (أحمد) صاحب الملابس المبعثرة وشعره الذي تشاجر مع رأسه، وعلى الأريكة المقابلة لهم تَجلس (سماح) التي ترتدي ملابس خليعة بمعنى الكلمة، ملابس بيّنت نصف صَدرها وفخذيها وهي فخورة بذلك.. لون ملابسها أسود وانساب شعرها على كتفيها، بجانبها (صلاح) الذي ارتدى"تي شيرت" أبيض مكتوبًا عليه (Salah) بخط عريض أسود، أما على الأريكة التي ارتكزت في المنتصف كانت (صَفية) تَجلس هادئة مُرتدية حِجابها الأبيض وبنطالها الواسع.. في كُل مرة ترتدي حجابًا يزيد جمالها أكثر وأكثر.

لم يَعرف أيٌّ منهم الآخر.. لأنه لم ينظر أحدٌ إلى أحد.. لقد ارتكزت عيناهم على الأرض خجلًا، إلا سماح التي أخذت تنظر بعينيها يمينًا ويسارًا، دققت النظر إلى (صلاح) الذي كان ينظر إلى أعلى ممدّدًا ظهره إلى الوراء.. حتى أن عينيها اتسعتا عن آخرهما لسبب لا يعلمه إلا هي..

وصلاح!

نَظر (صلاح) أمامه عن طريق الصدفة.. حتى عُلقت عيناه بوجه سماح!! قامت سماح من مكانها مُسرعة فقام خلفها صلاح بسرعة شديدة، لحق بها وأمسكها من كتفها، نَظرت إليه وعيناها قَد اغرورقتا بالدموع:

- سَماح!

قالها بدهشة وتعجب.. أخذا ينظران إلى بعضهما حتى أن الوقت مَر وهما لا يعلمان كم هو الوقت الآن؟ فجأة اندفعت (سَماح) إلى (صلاح) وهي تعانقه بشدة، يداه هو بجانبه لم يضعهما على ظهرها، فجأة وضعها ببطء حتىإنه رَبت عليها ثم أنزلها مرة أخرى..

كان الجميع يَنظر إليهما، لأنهما بمنتهى البساطة كانا يقفان في ساحة الفندق.. ذرفت (سماح) دموعًا كثيرة، حتىإنها قالت وهي بين ذراعيه:

- أنا آسفة.. آسفة يا (صلاح)

جَمدت ملامح (صلاح) وهو يقول لها:

- لقد فات وقت الآسف.

أبعدها عنه رغمًا عن قلبه، فاستطرد قائلًا:

- لقد أصبحتِ عاهرة يا (سماح).. الفتاة التي كُنت أحبها وأعشقها.. الفتاة التي اتفقت معها على أننا سنتزوج وسنكوّن أسرة.. ها قد أصبحت عاهرة.

عادت ملامح (سماح) لما كانت.. وسألته بدهشة وفضول شديدين:

- كيف عَرفت؟

أخذ يضحك بشدة، يَضحك على نفسه وعلى شدة غبائها، يَضحك على أن ما قاله على سبيل المزاح، كان حقيقة! رَجعت ملامحه كيفما كانت وهو يقول:

- على الأقل من ملابسك!

نَظرت (سَماح) إلى ملابسها.. وللمرة الأولى تَعرف أن ما ترتديه كان عاريًا ويظهر أكثر مما يبطن، بخطوات حزينة أدار (صلاح) وجهه عنها.. وذهب إلى المكان الذي كان يجلس به، جَلس مكانه، فانطلقت (سَماح) نَحو المكان أيضًا. . طأطأ رأسه وهو يُفكر في تلك الفتاة التي كان يُحبها بشدة.. يُحبها أكثر من نفسه! ها قد أصبحت عاهرة حرفيًا.
لم تكن هُناك مُهلة للتفكير.. لأنه وبعد كُل تلك الأفكار.. دَخل عليهم رَجل يَرتدي حُلة سوداء، أصلع الرأس، يَرتدي نظارة طبية، لكنه تلك المرة كان مبتسمًا..
نَظر الجميع إليه وهم خائفون..
إن هذا الرجل هو من ظهر لهم في الحُلم المخيف!!
قال بابتسامة ودود على وجهه:

- أهلًا بالجميع، مَعكم الآن (سامر أبو العينين)، نَشكر الجميع على حُضوره.. أنتم الخمسة ستأتون معي الآن لكي أفهمكم كُل شيء..

قام الخمسة من أماكنهم وعلى وجههم بدأت علامات التردد في الظهور.. لكنهم ذهبوا خلفه..

دون أن ينبسوا ببنت شفة!

* * *

أهلًا بكم في فُندقنا المتواضع.

قالها (سامر)، الرجل الذي تَخطى الأربعين عامًا بسنوات قليلة، لكنه يُحافظ على ابتسامته وعلى أناقته.. سار وهم وراءه، ابتسامة تعلو ثغره وكُلهم عابسون لا يدرون ما كَمّ الخطر الذي حَلّ بهم..
دَخل إلى غرفة وقال بضحكة بسيطة:

- السيدات أولًا!

دَخلت (سماح) بتردد بعدما فتح لهم الباب، ثم وراءها (صفية)، دَخل هو وتبعه الثلاثة رجال من خلفه، أغلق الباب.. جَلس الخمسة في صفٍ طويلٍ متكون من خمسة كراسي مريحة للغاية، الضوء الأبيض المريح للأعصاب، الغرفة الواسعة حقًا.. الشاشة الكبيرة التي أمامهم.
وَقف (سامر) بابتسامته الشيطانية التي لم يرَ أحدهم مثيلًا لها من قبل.. وقال بصوتٍ عالٍ بعدما أشار لـ(عبد الله):

- هل أنت مِرتاح في تلك الجلسة يا عبد الله؟

نَظر عبد الله بتوتر إليه، أومأ برأسه فقال الرجل بصوت عالٍ:

- حسنًا.. نأسف على التأخير بضعة دقائق.. هذا أولًا.. ثانيًا، أنا فَرِحٌ للغاية لأنكم أمامي الآن وقد استجبتم لدعواتي.. كُلنا سنكون سويًّا في مكانٍ واحدٍ.

هُنا نظرت (سماح) لـ(صلاح) الذي تظاهر بأنه منهمكٌ في السماع إلى (سامر) لكنه في الحقيقة يُفكر بها.. حتىإنه فكر أكثر من مرة بأن يقوم ويكلمها:

- يا إخوتي.. الأن سأقول إليكم ما الذي نُريده منكم.. أنا الأن أتحدث بلسان الشركة.. لذا اسمعوني جيدًا.. ولا تقاطعوني من فضلكم.

اعتدل أحمد في جلسته وهو ينظر لسامر:

- نَحن هُنا كي نكوّن شَركة، بالفعل أنا في شَركة كبيرة جدًا هُنا وفي البلاد الأخرى.. وفي كُل دولة هُناك فريق مثل الذي أكوّنه أنا الآن.. حياتكم ستكون جنة.. جَنة حرفيًا وأنا لا أبالغ بكلامي هذا.. سنجعل الجنة تتدفق من تحت أرجلكم.. تسيرون عليها وتأكلون من خيراتها وتفعلون ما يُشتهى لكم..

كُل شيء موجود.. كُل شيء سواء كان حلالًا أو حرامًا موجودٌ عندنا.. ما تريده سيكون لك بمجرد أن ترمش بعينيك..

أخذ أنفاسه ببطءٍ وهو يقول:

- ألا تصدقونني! حسنًا.. من منكم يوّد التجربة؟

رَفع (أحمد) يده بعد ثانية واحدة من السؤال الذي سأله (سامر).. فأشار إليه (سامر) بالحديث:

- أوّد أموالًا.. وسأعيدها لك في الحال..

ابتسم (سامر)، فأردف:

- الأموال لعبتنا.. فقُل شيئًا آخر.. أريدك أن تجعلنا نقول لك (لن نستطيع).

دُهش (أحمد) من ثقته، فقال له:

- أريد وجبة كبيرة من (كنتاكي)!

ضَحك الجميع من أجل سُخرية أحمد تلك.. لكن (سامر) لم يأخذها بموضع السخرية.. في غضون ثانيتين بالضبط طُرق الباب.. ذَهب (سامر) ليفتحه، فوجد شابًا يرتدي الملابس الرسمية للفندق وهو يقول له:

- وجبة الكنتاكي.

قدمها إليه.. من ثم ذهب فدخل (سامر) بالوجبة إلى أحمد.. اتجه ناحيته وفتحها أمام وجهه وهو يقول:

- أترى!

نظر الجميع إلى بعضهم في ذهول شديد.. وضع (سامر) الوجبة جانبًا وهو يقول:

- ألم تصدقوني! بالتأكيد صدقتم الآن.. بالطبع لن أقول لكم كيف فعلناها، لكننا ونحن على ثقة كبيرة جدًا بأن كُل شيء مستحيل في تلك الدنيا سنفعله لك.. مُقابل أن تخدمنا وتكون واحدًا منا.. ومقابل أيضًا.. أنك ستجلس معنا في فُندق آخر لا يقل روعة وجمالًا عن هذا الفندق، ولكن في مكانٍ معزول قليلًا.. هذا أول مقابل.. الثاني.. هو أنك ستجلس معنا لمدة سنة ونصف كاملةً.. لكنك لن تَخرج من الفندق مهما حَدث.. حتى لو كانت نهاية العالم في

الخارج.. لن تخرج إلا إن أمرناكبذلك.. وبالتأكيد ستُوقّع بأنك موافق على ذلك.. لكن كُلّ هذا مقابل أننا سنعطيك حياة أخرى تتمنى أن تعيش بها ونحن واثقون من ذلك.. إن لم تُرد.. ففي تلك الحالة.. الباب أمامك.

قالها وهو يتجه نَحو الباب ويفتحه لمن يريد الخروج.. هَبَّ (صلاح) و(أحمد) و(صَفية) واقفين.. لكن (سامر) أغلق الباب مُسرعًا وهو يقول:

- لكن..

اتجه أمامهم مرة أخرى، فاستطرد:

- في كُل أسبوع تجلس فيه، ستأخذ عليه ما يزيد عن الاثنين مليون دولارًا.. يعني لو جلست معنا لمدة (سنة ونصف) ستأخذ ما يزيد عن الاثنين مليار دولارًا، ولو حوّلناه للـ(جنيه المصري) فتقريبًا ستأخذون حوالي (خمسة وعشرين مليار جنيه مصري) يَعني أنك ستخرج من هنا ملياردير.. تفعل دومًا ما يحلو لك..

أخذ (سامر) أنفاسه، جَلس على الكُرسي المقابل لهم وهو يقول:

- هل يَنوي أحدكم الخروج؟

وللمرة الثانية..
لم ينبس أحدهم ببنت شفة!

* * *

الفصل الرابع: جَنة مُصغرة.

- نراكم غدًا في الموعد المُحدَّد.. ودِّعوا أهلكم وأصدقاءكم.. فلن تروهم لمدة سنة كاملة ونصف.

قالها (سامر) والجَميع عابسون، وَقف الجميع على سَطح الفُندق وأمامهم سيارة كبيرة جدًا لونها أبيض، طولها حوالي متر ونصف، وواسعة جدًا من الداخل، أشار (سامر) إليهم بالدخول، فَتح لهم الباب وقال بصوت عالٍ:

- بإمكانكم الجلوس هُنا.. وسَيصل السائق إلى سَطح كُلّ بيت خاص بكم.

نَظر إليهم نَظرة مُستفزة؛ فبداخل كُل واحد فيهم ذِكرى دفعته للموافقة.. جعلته موافقًا بالرغم عنه، مُضطرًا ومُجبرًا على الدخول، فتلك الشَركة من المستحيل أن تتركهم أحياءً بعدما عَرفوا كُل شيء عنهم! هَكذا كان عَقل الجميع يَدور، وكأنهم عَرفوا كُل شيء عن تلك الشركة اللعينة.. التي حقيقةً.. لا يعرف أحدٌ عنها شيئًا.

دَخل الجميع إلى السيارة.. ثم انطلقت السيارة تُحلّق في الأفق..

و(سامر) يَقف.. مُبتسمًا نفس الابتسامة اللعينة.

* * *

عبد الله

في صباح اليوم التالي.. كان عبد الله واقفًا أمام والدته، جَثا على رُكبتيه وقَبّل يديها العاجزتين، لقد بلغت من العمر أرذله، ولم تعد قادرة على التَحرُّك.. هُناك جِهاز آلي هو ما يأتي إليها بالأكل والشرب ويعطيها الدواء في موعده، كانت نائمة على السرير.. وعبد الله لازال جاثيًا على رُكبتيه، يقول لها:

- هل أنتِ بخير الآن يا أمي؟

ابتسمت والدته بعد شجارٍ عظيم مع المرض، ربتت على يديه وهي تقول له:

- طالما أنت بخير فأنا بِخير يا صغيري.

قام من مكانه، جَلس على السرير بجوارها وهو يقول لها:

- أقسم إني أقذر شخصٍ على وجه الأرض.

ذرف دموعًا كثيرة وهو بجوارها، فقالت له بهدوء:

- لا يا بُنيّ.. لا تقُل هكذا.. أرجوك لا تبكي.. فأنت أطيب شخص على وَجه الأرض.

تَنفَّس ببطء، كَفكف دموعه كالطفل الصغير وقال:

- أنا سأسافر يا أمي لفترة تتجاوز السنة والنصف، فهل تسمحين لي بذلك؟
لِمَ يَشعر بأن تلك هي آخر مرة سيرى فيها أمه؟ هل تلك الشركة ستُشكِّل خَطرًا عليه؟ أم أنه هو من سيُشكل الخطر على نفسه؟ هو لا يَعرف شيئًا!
قَبَّل للمرة الأخيرة رأسها..
قام من مكانه.
وذهب!
ثم استقرت على وجهها دِمعة!

* * *

أحمد

جَلس على الكُرسي في ساحة المَشفى، بانتظار أن يَخرج الطبيب ويقول له ما الذي حَدث، أرجع رأسه إلى الوراء والتفكير يُشعل باله، لذلك قرر أن يُحاول أن ينام كي لا يشعر بالوقت..
لكن كيف؟ فزوجته بالداخل.. وهو لا يعلم حتى ما الذي سيحدث لها.. لكن لا داعي للقلق.. ففي غضون دقيقـ...
خَرج الطبيب مُسرعًا وهو يرتدي ملابس عادية للغاية، يقول إليه:

- *ألف مبروك.. وَلد.*

تهللت أساريره، وشَعر أنه سيطير الآن من السعادة، هَرول ناحية الغرفة والطبيب يَضحك.. وَجد زوجته ممددة على سريرٍ طويلٍ ومُريحٍ للغاية، وبجانبها جِهاز كبير يَشبه الإنسان الآلي يَحمل الطفل.. نَظر أحمد إلى رحمة.. وقال لها:

- *ليتني اشتريت جهازًا كهذا للبيت! على الأقل لم أتعب نفسي وأنزل فجرًا!*

قالها بضحكة فَضحكت هي الأخرى بتعبٍ، نَظر إلى الطفل بابتسامة حَملت معاني جمة، أخذه من الإنسان الآلي، داعب شفتيه وهو يُردد:

- *نور.*

نَظرت إليه زوجته، فقال لها:

- *اسمه نور.*

كُل تلك الذكريات مَرت على أحمد وبيديه الجهاز الذي اخترعه.. ورحمة تتحدث معه وهي تقول:

- إلى أين ذهبت يا أحمد؟

أفاق من شروده، وهو يقول إليها بعدما انسابت دمعة صغيرة على وجهه:

- أنا هُنا يا حبيبتي.

* * *

صَفية

- هل توافقين يا أمي؟

قالتها (صفية) وهي في حضرة أمها على الأريكة في صالة بيتها، كانت الأم تَجلس وهي تُراقب وجه ابنتها وتتخذ القرار، فجأة صاحت أمها:

- وهل أنتِ مُتأكدة أن تلك الشركة ليست شركة نصابة؟

رَدت (صفية) بابتسامة:

- يا أمي، أقسم لكِ إن ما رأيته كان فعليًّا جُزءًا صغيرًا من الجنة، لو كُنتِ رأيتِ الفندق الذي أتحدث عنه.. لكُنتِ ذهبتِ على الفور!

تنفست الأم فأردفت:

- وهل أنتِ تقدرين على فُراقي سنة كاملة ونصف يا بُنيتي؟ أنا حتى لا أستطيع أن أنسى أخاك (مُصطفى) يا (صفية)، أخوك الذي هاجرنا دون أن يسأل عنا، هل ستذهبين بتلك السهولة؟!

تنهدت (صَفية)، لَمعت عيناها وهي تتذكر كُل ما فعلته أمها من أجلها.. تتذكر يوم علمتها كيفتصلي، تَتذكر يوم نصحتها بألا تأكل بيدها اليُسرى لأن الشيطان يأكل معها.. تَذكرت كُل شيء عندما سَكنت في وجه أمها دِمعة مسكينة..

ثم وَضعت (صفية) رأسها على حِجر أمها وهي جالسة.. طالما غابت فهي لن تجد أطيب من أمها عليها..

قالت لها أمها:

- اذهبي يا ابنتي.. لكن من فِضلك.. لا تنسيني أبدًا..

قامت (صفية) من حِجر أمها، وضعت يديها على ظهرها وعانقتها بشدة.. وكأنه العناق الأخير!

* * *

صلاح

جَلس (صلاح) على المقعد الخاص به في "الصيدلية"، يشعر بأن عقله قد بدأ في التآكل من كَثرة التفكير بتلك الشَركة التي لا يَعرف إن كانت تبحث عن مصالحه أم تبحث على طريقة للخلاص منه.

جاءه صَوت هاتفه عاليًا، حتى إنه شَعر بأن الصيدلية ستقع عليه بسبب اهتزاز الهاتف.. قال بصوتٍ عالٍ:

- أجب.

أجاب الهاتف فأطلق الصوّت الأنثوي حنينه:

- صَلاح.. هل أنت بخير؟

ابتسم (صلاح) بحسرة وهو يقول لها:

- رأيت سماح اليوم..

مدد قدمه على الطاولة ووضع قدمًا على قدم.. بينما قالت روكسان:

- تمزح، أليس كذلك؟

قالتها بصدمة حقيقية فأجاب هو:

- ليتني كُنت أمزح.. لكنها حقيقة مُرة يا حَبيبتي..

ضَحك بشدة على غبائه وهو يتذكر ماضيه مع تلك الفتاة التي أعطاها قلبه، أعطاها ولم يبخل عليها بذلك.. لكنها هي من بَخلت عليه بقليلٍ من الحُب الذي كان يتمناه ولو ليوم واحد في عُمره.

- هي لم تُحبك يا صلاح.. أليس كذلك؟

أردف بأسفٍ:

- للأسف.. هِي بَغضت أن تُحبني.

وفي عقله، قَرر الذهاب إلى الميعاد القادم.. فقط..
كي يراها!

* * *

سَماح

وَقفت (سماح) ويدها تنزف بداخل غُرفة الكسر، لقد كَسرت ذلك الكوب المسكين إلى أن انتقم منها بجرح بمنتصف يدها اليُمنى.. لم تُعر الجرح أي اهتمامٍ..
عيناها انهمكتا في البكاء بسبب (صلاح) الشاب الذي أحبها بصدق وهي كرهته.. كَرهته حتى أنها فَرت منه هاربة إلى مكان لا يعلمه أحد.
سَمعت صوت هاتفها، قالت بصوت عالٍ:

- من المتصل؟

أجابها الهاتف بصوت مُتقطع:

- نادية.

تأففت سماح، فأجابت:

- أجب.

جاء صوتٍ حاد من تلك الفتاة المسماة بـ(نادية)، لتقول لسماح:

- أستاذة سَماح.. هُناك موعد في الساعة التاسعة اليوم، هل ستحضرين؟

أجابت (سماح) بعصبية بالغة:

- لن أحضر.. وأتمنى أن تلغي كُلَّ المواعيد اليوم وغدًا.. فأنا لا أقوى على فعل أي شيء.
- لكن اليوم هُناك أكثر من موعد مُهم.. أرجو ألا تكونيقد نسيتِ أن اليوم هو الجمعة؟
- لم أنسَ.. لكني مُتعبة للغاية..

سَكت الصوت قليلًا، فأجابت:

- أمرك..

وأغلق الخط..

تنفست سماح ببطء.. وعيناها امتلأتا بالدموع..

لقد قررت أن تذهب إلى اليوم المحدد..

فقط..

كي تراه.

* * *

وَصل الجَميع في تمام الساعة التاسعة مساءً، جَلسوا في نَفس المكان الذي جَلسوا فيه من قبل.. كُل اثنين على أريكة إلا (صفية) التي جَلست عليها وحدها، خَشيَ (صلاح) النظر إلى (سماح)، لم يَنظر إليها أبدًا لكنها رمقته ببضع نظرات لا تعرف لها معنى محددًا.. أهي حزينة.. أم خبيثة؟

كالعادة، رَفع أحمد رأسه إلى الأعلى كي يرى السقف الذي أبدع المخلوق في صنعه، لكنه فجأة رأى وَجه (نور) ابنه يَرتسم في السقف وهو يَصيح بطريقته الطفولية:

- أبي!

هَز رأسه يمينًا ويسارًا، تمالك عينيه اللتانأرغمتاه على أن يَذرف دمعة، من سنة واحدة فقط.. عندما رأى"فيلما" ما بأحددور العرض.. ووَجد الأب في الفيلم يَبكي مرارًا على ابنه في كُل ليلة يَرى فيها سَريره خاليًا.. كان يقول دومًا إن تلك الأفلام (أوفر)، لكن جميع المشاهدين في دار العرض كانوا يبكون من شدة تأثرهم بالفيلم.. وهو يَراهم ويسخر منهم!
الآن قَد شعر، الآن قد عَرف الحقيقة.. عَرف لماذا كان يبكي ذلك الرجل على ابنه الذي توفي..
قَطع (سامر) أفكار الجَميع، دَخل إليهم وعلى وجهه نفس الابتسامة العاهرة.. قال لهم بترحيب وهو يَرتدي بدلة كُحلية أنيقة للغاية:

- أهلًا بالجميع..

اتسع فمه أكثر وأكثر، فاستطرد:

- هل أنتم مستعدون؟

* * *

لم يكن أحد يعرف أن ذلك ما سيحدث!
لقد أصبح الجميع منبهرين بشدة، ابتسم (أحمد) أخيرًا بعد مرور شهور لا تعرف له الابتسامة طريقًا فيها، في كُل لحظة ينظر إلى الغرفة التي هو بها الآن.. عذرًا.. ليست غرفة، بل إنها بوابة من أبواب الجنة ولم يخطئ مَن وصفها بتلك الطريقة أبدًا! بداخل تلك الغرفة سرير كبير جدًا، خلف السرير هُناك بوابة أخرى صغيرة لُوّنت باللون الأزرق، لكن بجوار البوابة شيئًا يشبه المطاط، سور صغير مكوَّن من سلاسل بلاستيك وبداخله مطاط، هو اللعبة التي يلعبها الأطفال في الحدائق، سماعات أذن تعمل على حسب (مزاج) دماغك، إذا كان عقلك يريد موسيقى فستقوم تلقائيًا بعمل موسيقى، إذا كان عقلك يريد أغنية صاخبة فستعمل تلقائيًا، ضوء الغرفة أصفر يشع من جميع اتجاهات الغرفة، نُقشت على جُدرانها رسوم مبهرة، في كُل غرفة رُسِمَت صورة صاحبها وذلك ما أبهرهم بشدة في بداية دخولهم، لكن ما جعل الدموع تترقرق في عيني(أحمد)، هو أنهم رسموا له صورة مع عائلته!
كان نور في الصورة عمره لم يتخطَّ الستة أشهر، كان يتوسط الصورة وعلى الجانب الأيمن رحمة زوجته.. والجانب الآخر هو.
(صفية) التي تشعر أحيانًا أنها ليس لها حيلة، لكن في أحيانٍ أخرى تشعر أنها ستقوم وتحضرك على العشاء!
لديها الكثير من المشاعر المتضاربة، عَرفت ذلك عندما دخلت تلك الغرفة، شعرت بأنها ملكة الكون عندما رأت صورتها وهي مرسومة بحجمٍ كبيرٍ وليس بها أي خطأ

فني! ثم تشعر في نفس اللحظة أنها غبية لدخولها مكان لا تعرف عنه شيئًا، ولا تعرف عن رؤسائها شيئًا!
(صلاح) الذي لا يمتلك أي إحساس ولا مشاعر، حقيقةً هو لا يعرف إذا كان تعيسًا أم سعيدًا، ليس له أي أحدٍ يعرفه ها هنا، لكن أن يكون في مكانٍ كهذا لمدة سنة كاملة ونصف دون أن يرى الشوارع والبشر- هذا الكلام من وجهة نظره هو - بالتأكيد هذا شيء صعب للغاية!
وقف (عبد الله) أمام الرسمة التي رُسِمَت له وهو مبتسم على الحائط جعلته فرحًا وسعيدًا لدرجة لا يتخيلها أيُّ أحدٍ، قد ابتسم أخيرًا بعد عذاب كي تصل إليه الابتسامة!
نَظرت (سماح) إلى تلك البوابة الصغيرة، تنظر إليها في رغبة جامحة للدخول ومعرفة ماذا يجري بالداخل، لكن هناك شيءاستوقفها قليلًا، رغم كُل فرحتها تلك التي ملأت فاها ووجهها بأكمله، هُناك سؤال طرق أبواب عقلها: لماذا صلاح دونًا عن الباقيين هو من بوابته تلتصق ببوابتها!
هذا السؤال لم تلقِ له بال أبدًا، لكنه هو من يغتصب تفكيرها ويمزقه إربًا.
توقف الجميع أمام البوابة الصغرى، وعلى وجوههم ارتسمت ابتسامة، تنهد (أحمد) ورفع يده كي يفتح الباب، لكنه سمع صوتًا يهز أركان الغرفة وهو يقول:"افتح"، يُفتح الباب أمام أعين الجميع حتى سُمِعَ صوت الباب وهو يُضرَب بالحائط، تعجب الجميع؛فليس أحمد فقط هو من سمع ذلك الصوت، بل الجميع سمعوا واندهشوا!
دَخل كُل واحدٍ منهم بوابته الخاصة، ليجدوا حمام سباحة كبيرًا جدًّا جدًّا، حجمه حوالي مئة متر، عمقه مُدرج لكن في نهايته يبلغ حوالي خمسة أمتار، أضواء خافتة للغاية تُنيره، يوجد اثنتا عشرة أريكة في المكان تجعل الجميع يسترخيبه، نظروا كُلهم إلى جانبهم فوجدوا أن حمام السباحة مفتوح لجميع الغرف، لكن لماذا فعلوا ذلك.. لماذا فعلت الشركة ذلك رغم أنها كانت تستطيع أن تبني حمام سباحة في كُل غرفة وتريح عقلها من المشاكل؟
لا يهم.. فبالتأكيد هُناك ما يستحق أن يفكروا فيه أكثر من هذا، لم يُفكر (صلاح) رغم انشغال عقله، دَخل غُرفته مسرعًا ورأىخزينة ملابس حجمها كبير للغاية، فتح الدولاب فرأى كُل شيء! كُل شيء معناه هنا أن جميع أنواع التيشرتات والقمصان والبلوفرات موجود، كُل شيء في أنواع (البنطلونات) موجود، كُل شيء في جميع أنواع الأحذية موجود، كُل شيء في جميع أنواع الساعات موجود، كُل شيء في جميع أنواع الـ(مايوهات) موجود، وهُناك الكثير من (النشفات) والروائح، كُل شيء كُل شيء موجود، قد رُصَّ في عرضٍ مُذهل وكأنهم للبيع، تنبعث موسيقى هادئة عند فتحك للدولاب.. ضوء خافت للغاية عند كُل رفٍّ في الدولاب لونه برتقالي..
في تلك اللحظة أخذ (صلاح) ينظر بشرودٍ تامٍّ وعيناه كادتا تبكيان من شدة الفرحة

التي سببها له ذلك الدولاب، خلع ملابسه بسرعة وارتدى ذلك المايوه، أخذ المنشفة معه، ثم ذهب ناحية حمَّام السباحة بخطوات بطيئة للغاية، وضع المنشفة على الأريكة، فنظر على يساره وجد سماح تَنظر إليه، طأطأ رأسه مرة أخرى.. ثم رَجع إلى غرفته بخطوات متبعثره.. مرت ثوانٍ نظر الجميع فيها لبعضهم.. فوجدوا (صلاح) يركض تجاه الحمَّام ويقفز!

ابتسم الجميع في فَرحة، فأخذ (صلاح) يسبح بلا كلل وبلا ملل.. نَظر أحمد يمينًا ويسارًا، فاتجه نَحو الغرفة وفتح الدولاب، أخذ ما ينبغي عليه أخذه وخلع ملابسه هو الآخر.. ثم ارتدى الـ(مايوه) واتجه ناحية الحمَّام، ركض مُسرعًا ثم قفز..

داعبت شفتيه ابتسامة..

فعرف أن الحياة وهبت له فرصة أخرىلكي يعيش!

* * *

الساعة التاسعة وإحدى عشرة دقيقة، فَتح الجميع أعينهم بابتسامة، نَظروا يسارهم فوجدوا جِهازًاآليًّا صغيرًا يتحرك بداخل الغرفة ويُنظِّف كُل شيء فيها.. يَنظر إليه (عبد الله) في دَهشة فيتكلم ذلك الجهاز ويقول له:

- صباح الخير..

يَتكلم الجهاز وكأنه إنسان حقيقي، طوله صغير للغاية ولونه أسود، له قدمان ويدان وشاشة في بدايته، سار مسرعًا تجاه (عبد الله) وسأله:

- ماذا تودّ أن تَشرب.. أستاذ عبد الله؟

نَظر عبد الله إليه بعينٍ واحدة وهو في حالة من الاسترخاء التام، قال له:

- فنجان من القهوة..

تكلم الجهاز مُسرعًا:

- كم مُكعب سُكر؟
- أربعة.

ذهب الجهاز بسرعة ناحية المطبخ الموجود بالغرفة، وفي أقل من خمس ثوانٍ أتى بفنجانٍ من القهوة، وضعها على الطاولة أمام (عبد الله) فغيَّر وضعيته؛ بحيث يكون كأنك تسكب براد الشاي إلى الكوب، هو فعل ذلك وكأن بداخله القهوة، فرّغ القهوة بداخل الفنجان.. ثم قال لعبد الله:

- تود ارتشافها هُنا أم بالخارج؟

ابتسم له عبد الله، قام من السرير وجلس عليه، فقال له:

- بالخارج.. ولكن دَعني أفيق قليلًا..
- بالخارج ستفيق.. هيًّا!

جَرى الجهاز بالقهوة في يده بسرعة رهيبة إلى الخارج.. فُتح له الباب تلقائيًّا بُمجرد ما اقترب منه، كانت الشمس في ذروة إحراقها. بسبب وزن عبد الله قرر أن يكون كسولًا، قام من مكانه واتجه ناحية الكُرسي المتحرك، جلس عليه ثم شدّ الحزام عليه، أرجع رأسه إلى الوراء، ضغط على زر ما وهو يغمض عينيه، فقام بتحريك كُل جزء من جسده، حَرك قدمه اليمنى ثم اليسرى، حَرك رأسه حتى يستفيق جسده، ثم في النهاية وجد ذلك الصنبور يسكب مياهًا ساخنة على وجهه لمدة دقيقة كاملة.. بدأت القيود تنفك.. تَحرك برأسه أخيرًا، وَجد الجهاز الآلي يقترب منه وفي يده منشفة، أخذها عبد الله بعد أن شكره قائلًا:

- شُكرًا يا ....

أكمل الجهاز قائلًا:

- روبت.. اسمي روبت يا أستاذ عبد الله، عمري أربع سنوات.

ابتسم له عبد الله وقال:

- أهلًا يا روبت.. شَرُفت بمعرفتك.

لم يَتكلم (روبت) بل وكأنه ابتسم، نَشف (عبد الله) وجهه، أخذ نفسًا عميقًا بعدها أمر الكُرسي الذي يجلس عليه بأن يأخذه إلى الخارج.. بدأ الكُرسي في التحرك ببطء، وَجد حمَّام السباحة يعطي لونًا ذهبيًا، خَرج من غرفته تمامًا، نَظر يمينه وجد الكُل خَرج على قدميه إلا هو، في نفس اللحظة التي خرج فيها، وجدهم جميعًا يخرجون، تَحرك الجميع وكأنهم في الجيش، الخطوة يُحاسبون عليها، ابتسم (أحمد) إلى (عبد الله) وقال له:

- صباح الخير..

نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) بابتسامة وقال له:

- صباح النور.. أهلًا بك يا صديقي..

ابتسم له، فبدأ الجميع في البحث عن شيء جديد، سار (أحمد) بجانب حمَّام السباحة، ثم رأى بوابة كبيرة بأعلاها يافطة كُتِب عليها "مدينة الملاهي"، نَظر أحمد إلى اليافطة بابتسامة كبيرة، ثم قال بعلو صوته: "يا رِفاق، مَن منكم يودّ أن يلعب معي في مدينة الملاهي؟" بالطبع ودون أدنى تفكير.. ذهب الجميع وراء (أحمد)، رغم أن تقريبًا كُلهم شباب وعاقلون، لكنهم بارّون بأمهم التي تُسمى الطفولة.. مهما شاخ عمرك، سيكون هُناك ولو بذرة صغيرة تنبض بحب الطفولة، اقتربوا منه، ثم دَخل

أحمد بخطوات سريعة إلى المدينة، انبهر أحمد أضعافًا عندما رأى تلك المدينة، فقرر أن يُراقب انبهار الآخرين، نَظر إليهم.. راقب وجوههم بشدة.. وَجد قدم فتاة يتقدم، ابتسم أحمد.. لكن سُرعان ما اختفت تلك الابتسامة عندما عَرف أن تلك الفتاة هي زوجته!

زَوجته وتحمل معه ابنها وابنه، بَلع أحمد ريقه وعيناه لا تستطيعان التحمل.. أغمض عينيه أكثر من مرة، لكن تلك الرؤية لا تزول أبدًا، ذلك الكابوس الذي كان يومًا حُلمًا رائعًا.. يُطارده وسيطارده إلى آخر يوم في عُمره، نَظر أحمد إلى ابنه نور وزوجته رحمة، أنزلت زوجته،ابنها نور حيث كان مستندا برأسه على كتفِها، وهي تبتسم.. وجهها القمري ذلك وشعرها الأشقر الذي يداعب كتفيها دومًا، نظارتها المضادة للشمس التي كانت ترتديها دومًا، حُبها لأحمد الذي لن يستطيع نسيانه أبدًا، حُبٌّ لن يُقارن بأي حُب في عُمره.

رغمًا عنه سقطت ابتسامته.. وظل مُحدقًا في اللاحقيقة وكأنه يربابنه، جثا على رُكبتيه، ثم انهار باكيًا!

في تلك اللحظة رآه الجميع، قد نظروا إليه وعرفوا أن هُناك شيئًا ما قد قَتل أحمد نفسيًّا من قبل، صَرخ (أحمد) باكيًا:

- أرجوكم عودوا.. فأنا لا أستطيع الحياة دونكم!

صرخها حتى شعر أن أحباله الصوتية قد انقطعت، هُنا فَهم (صلاح) أن هُناك شخصًا ما في حياة (أحمد) كان يَحبه بشدة قد مات، لم يعرف أحدٌ ما الذي يقصده (أحمد) من كلامه ذلك، لكن الجميع تأثر بطريقة بكائه وطريقة كلامه، نَظر أحمد إلى المكان الذي كان فيه نور ورحمة.. لم يجدهما، أخذ صدره يعلو ويهبط وعيناه لا تَجفّان أبدًا.. اقترب (صلاح) من (أحمد) وجَثا على ركبتيه هو الآخر.. أخذ يُربت على كَتفيْ (أحمد) بحنان شديدة وكأنه يعرفه منذ زمن، نَظر (أحمد) إليه وعيناه قد انكسرتا من كَثرة الدموع، ابتسم إليه بالرغم عنه، قال بنفس متهدج:

- ماتا وتركاني وحدي يا صديقي.. لم أخذهما مِني في أكثر وَقت كُنت أحتاجهمابه؟

تَكلمت (صفية) بعصبية حاولت إخفاءها:

- لا تقل هكذا يا أخي، فالله يفعل ما يشاء وقتما يشاء.. إنها إرادة الله، بالتأكيد هُناك شيء كَمنَه لك!

قال (أحمد) بعدما شَعر أن قلبه قد نَزف:

- لكن.. عندما يكون هُناك شيء أنتِ متمسكة به لدرجة كبيرة ولا تستطيعين العيش من دونه ليوم واحد.. وفجأة ينقطع ذلك الشيء عنك ولا ترينه أبدًا، كيف سيكون إحساسك؟
- سيكون إحساسي وَقتها أني مطمئنة، لأن الله يَفعل هكذا لعباده الذي يَحبهم، يعطي لهم اختبارًا كبيرًا كي يَختبر قوة إيمانهم، كُلما كان امتحانك صعبًا.. كُلما كُنت عند الله أعلى شأنًا ومقامًا.

لم يَرد (أحمد)، ليس لأنها غَلبته في الكلام، بل لأنه شَعر أن قلبه سيقف من كَثرة الثرثرة، ومن شدة حزنه على زوجته.. تَحدث إليه (عبد الله):

- يا صديقي.. ألا تَرى أنه بإمكانك أن تَعيش معنا وتكون سعيدًا؟ الحياة تُعاش مَرة واحدة يا صديقي.. فلتستمتع بها.. أو لن تستمتع أبدًا! ولا تعش أبدًا نادمًا على ماضٍ لم يكن بيديك إنهاؤه بتلك الطريقة.

ابتسم (أحمد) ابتسامة قد لا تُرى، رَفع يديه إلى (صلاح) كي يوقفه على قدميه، قام صلاح واقترب عبد الله ثم قام من مكانه، قالت (سماح) إلى (أحمد) بعدما وَقف على قدميه:

- ونحن على أتم استعداد كي نجعلك سعيدًا في هذا الكون.

نَظر (صلاح) إلى (سماح) نظرة لم تفهمها، لكنها ابتسمت له ولم تطل تلك الابتسامة طويلًا عندما أبعد (صلاح) وجهه عنها، مَسح (أحمد) عينيه بكلتا يديه، ثم قال:

- حسنًا.. فلنلعب في البداية سباق السيارات، من سيلعب معي؟

كانت الملاهي كبيرة للغاية، هُناك حوالي عشرة ألعاب من ضمنهم لعبة سباق السيارات، هُناك لعبة الطيار، تلك اللعبة عبارة عن كُرسي تجلس عليه وتجعله يَطير بك ويُرجعك إلى مكانك بمعدّل ستين مرة كُل دقيقة، أي يعني مرة كُل ثانية، تُحلق في السماء على بعد مائة متر، تَرى الناس كأنهم نَمل.. هُناك أيضًا اللعبة العادية التي تكون موجودة في كُل مدينة ملاهي وهي الدوارة، تلك اللعبة الكبيرة للغاية التي تجلس عليها وتلتف بك كعقرب الساعة، تلك اللعبة هي أهدأ لعبة من الموجودين كُلهم.

انطلق (أحمد) مُسرعًا ومعه الجميع، وجدوا شخصًا واقفًا أمام اللعبة، عندما وجدهم اقتربوا منه، دَخل إلى غُرفة التحكم، ثم دخلوا الجميع كُلهم على سيارته الخاصة، ارتدوا الخوذة الخاصة بهم، رَبطوا حزام الأمان.. ثم انطلقت صافرة الحكم الآلي وهو يتكلم:

- ثلاثة.. اثنان.. واحد.. انطلق!

يَنطلق الجميع وهم في صفٍّ متساوٍ.. خمس سيارات ينطلقون بنفس السرعة وبنفس الخوف، يتوسطهم (أحمد) وأول واحد يجلس هو (صلاح) وفي السيارة التي جانبه جَلست (سماح) عن قصد، (صفية) كانت في السيارة المجاورة لـ(أحمد).. و(عبد الله) في نهاية القائمة.. كُلهم يسيرون، الشمس ساطعة وتغتصب أعين الجميع، حاولوا أن يتلافوا أشعة الشمس لكنها لم تسمح لهم بذلك، ضغط أحمد على زِرّ الوقود بسرعة شديدة، حتى إنه أصبح على رأس المجموعة، كان وراءه (صلاح) على بُعد أمتار قليلة، ضَحك (أحمد) وهو يقول لـ(صلاح):

- لن تستطيع يا صاحبي.

استفز (صلاح) من الجملة، ضغط على الوقود بشدة حتى انتصر على (أحمد) بمراحل، كان هو على رأس المجموعة، ضحكت (سماح)، لقد كانت تُحب (صلاح) بصدق.. رغم أنهما كانا متزوجين من قبل. . لكنها تحبه كأول مرة رأته فيها.

وَصل (صلاح) إلى خَط النهاية متفوقًا على (أحمد)، ثم وَصلوا تباعًا وراء بعضهم، ضحكت (صفية) أخيرًا بعد أن تفاهمت مع عقلها أنه من الطبيعي أن تكون وَسط رجال لا تَعرفهم..

رَغم كُره (صلاح) لـ(سماح) لكنه أخذ ينظر إليها بالرغم عنه.. هناك شيء ما بداخله يُجبره على النظر إليها.. نَظرت إليه هي الأخرى بابتسامة..

لقد انتفض قلبه.. مرة أخرى.

* * *

الفصل الخامس : ***طيبة***

- هل تعيشين بمفردك؟

قالها (أحمد) لـ (صفية) بعدما جَلسا هما الاثنان في البرجولة في تلك الحدائق الكبيرة، كانا ينظران لبعضهما نظراتٍ تدل على الكثير، لكن كُلمانظرَ أحمد في عين صفية يرى زوجته.. إنها تذكِّره بزوجته حتى في كلامها!

في المساء اجتمعا بعدما تعرفا على بعضهما أخيرًا وتعرف الكل على بعضهم، صاروا أصدقاء في وقتٍ قليل للغاية.. وتقريبًا بعد ربع ساعة من الآن سيجتمعان كي يعرف كُل منهما حكاية الآخر..

ابتسمت (صفية) إلى (أحمد) وأجابت:

- والدتي فقط من تَعيش معي في نفس الشقة، أحاول أن أهتم بها قدر الإمكان وأن أكون ابنة بارة لها.

كان الضوء مُسلطًا عليهما، وكأن هُناك أحدًا يُراقبهما، بسبب أشعة الضوء المُبالغ بها، نَظر (أحمد) تجاه ذلك العمود الذي يَشع نورًا، وَجد في مُنتصف العمود بالضبط كاميرا صغيرة تُشبه عقلة الأصبع في طولها ووزنها وكُل شيء تكاد لا تُرى.. رآهاعن طريق الصدفة، حتى إنه سأل نفسه كيف رأى تلك الكاميرا الصغيرة، شعرت (صفية) أن هُناك شيئًا ما، سألته:

- (أحمد)، ما الذي يجري؟

فاق (أحمد) من شروده، ثم أجاب عليها بابتسامته المتواضعة:

- لا شيء..

اقترب منها فابتعدت عنه في خجل، قال بصوتٍ خفيض للغاية:

- إنهم يراقبوننا.. يعرفون كُل شيء عنا ويسمعون كُل ما نقوله الآن!

ذُهلت (صفية)، لكنها سُرعان ما عَرفت أنه طبيعي أن يحدث ذلك!:

- لكن هذا يا (أحمد) من الطبيعي جِدًّا أن يحدث!

أجابها (أحمد) وعيناه لا تنظران إلى عينيها:

- من الممكن!

ظَل مُحدقًا في الأرض وهي تَنظر إليه، تَنظر إليه بلا خَجل للمرة الأولى.. بدأت تتذكر وهو يبكي في الصباح وعيناه قد مُزقتا من كثرة البكاء، خائفة من أشياء

كثيرة تود ألا تحدث، لا تَعرف من الذي مات أو من الذي اختفى، هُناك شيءٌ ما كبير بداخل (أحمد)، بالتأكيد ستعرفه الليلة..

- أحمـــد.. هيَّا...

قالها (عبد الله) بصوت عالٍ، عندما وجدهما جالسين في الحديقة، قام أحمد وصفية من مكانهما، ثم اقتربا منهما، جَلسا على أرض الحديقة وحولهم الباقي من أصدقائهم.. جَلس الخمسة على هيئة دائرة كبيرة، ابتسم عبد الله وهو يقول:

- حسنًا.. اجتمعنا اليوم كي نُعرّف أنفسنا.. ويَحكي كُل شخصٍ حكايته، من الواضح بل من الأكيد، أن الجميع تأثر بـ(أحمد) عندما رأوه يبكي لسبب لا يعلمه إلا هو.. فهل تفضلت علينا يا (أحمد) وقصصت علينا قصتك؟

ابتسم (أحمد) في رضا.. وأخذ يتلو عليهم قصته..

* * *

"في فترةٍ ما من عُمري، كُنت أبغض الحُب.. عندما يسألني أي أحدٍ كُنت أقول له إن من المستحيل أن أحب فتاةً ما، والحب هو عبارة عن جُرعة مكثفة من الكآبة والحُزن، كان الوقت متأخرًا، كُنت أشعر ببعضٍ من الملل.. من الصعب يا أصدقائي أن تجلس في البيت وحدك ويداعبك الهواء البارد، وتكون وحيدًا تمامًا.. لا تفعل أي شيء في تلك الدُنيا إلا أنك تَذهب إلى عملك ثم تَرجع إلى بيتك.. لا أصدقاء.. لا أهل.. لا أي شيء! حتى أصدقاؤك في العمل تبغضهم ولا تُحب أيّ أحدٍ فيهم.. خَرجت إلى شُرفتي، وبدأت أرتشف كعادتي فنجان القهوة، كان الجو عاتمًا.. تقريبًا لا تَرى أي شيء.. فجأة، وَجدت فتاة أول مرة أراها بحياتي، لم أرَها قَط من قبل، أظن أنها أتت تلك الشقة حديثًا، لأن تلك الشقة أهلها كانوا خارج مصر، كانت أمامي بالضبط، في الشرفة التي أمامي، نَظرت الفتاة إليَّ وهي تقول:

- *أحمد؟*

دُهشت.. فلم أكن أعرف أنها تعرفني! أجبت:

- *نعم..*

نَظرت إليها طويلًا، سألتها:

- *من أنتِ؟*
- *أنا (رَحمة) يا (أحمد)، هل نسيتني؟ نسيت يوم ذهبنا إلى الحدائق سويًا.. نسيت يوم سفرنا إلى الإسكندرية سويًا؟ نسيت يوم كانت طفولتنا بأيدي بعضنا؟*

ابتلعتُ ريقي بتلعثم.. وبدت الدهشة تعلوني حتى كادت تقتلني.. قلبي بدأ يخفق بشدة، شَعرت أنني ذهبت إلى غَياهب الذكريات! لا أعلم ما الذي حَلَّ بي عندما نطقت الفتاة تلك الجُمل، لقد تذكرتها! تَذكرت (رحمة) الطفلة البريئة التي تَمزق قلبي عندما تَركتني وسافرت إلى اليونان مع أهلها، قُلت لها بدهشة واضحة:

- *رحـمة.. أنا لا أستطيع الكلام الآن! لا أستطيع الكلام من إثر تلك الصدمة.. كيف لم يُخبرني أحدٌ بأنك أتيتِ؟ كيف حالك.. وكيف حال أهلك؟*

أجابت بعدما جَرحَتْها كلماتي:

- *أنا الآن وحدي يا (أحمد)، لا يوجد أي أحدٍ من عائلتي.. توفوا جميعًا، توفو منذ عامين.. وها قد عُدت اليوم..*

شعرت بالخجل، فبدأت ابتسامتي تنسحب رويدًا رويدًا:

- *أنا آسف حيال ذلك.. فليرحمهم الله.. أقسم إني لم أكن أعرف.*
- *لا عليك..*

عادت مرة أخربابتسامتي بقوة.. قُلت لها:

- *لكنك لست وحدك يا (رَحمة)، بل أنا معكِ.. وأنا لن أخجل من كلامي هذا إليك.. يَكفي أنكِ أنتِ صديقتي الوحيدة في ذلك العالم اللعين.*

ابتسمت (رحمة)، ثُم نَظرت في ساعتها.. ونظرت أنا الآخر في ساعتي وجدتها تُطرق أبوابها على الثانية صباحًا، قالت لي بعدما خَطرت في بالها فِكرة:

- *(أحمد) أنا لا أوّد النوم.. ما رأيك لو أتيت وجَلست معي في شقتي؟*

ابتلعت ريقي بتلعثم مرة أخرى، كُنت خائفًا من ردي، لكني سلّمت بالأمرورددت:

- *ما رأيك أنتِ لو نَزلنا الآن إلى الشارع وركضنا كما كُنا نفعل وقت كنا صغارًا؟*

نَظرت إليّ، ثم بدأت في التفكير للحظات.. دَخلت دون أن تنبس ببنت شفة، نَظرت إلى السماء.. وشعرت بشيء غريب يحدث..
بداخلي!

* * *

ابتسم (أحمد) وهو يتلو القصة.. قال مخاطبًا الجميع:

- مهما طال عُمري لن أنسى ما حدث في تلك الليلة أبدًا.. ما حَدث لا يُوصَف بكلمات.. لكني سأحاول قدر الإمكان أن أقوله لكم.. وسامحوني إن حَدث أي شيء منّي.. فالدموع خارجة عن إرادتي الآن.

ابتسموا كُلهم.. وآذانهم الصاغية تود المزيد..

* * *

رَكضت (رحمة)، وشعرها الأشقر المُنسدل على كتفيها يتحرك يمينًا ويسارًا، قالت وهي تضحك:

- Catch me if you can!

هُنا ضحكت بشدة، حتى إنها لم تنسَأني أعشق ذلك الفيلم وأعشق توم هانكس بَطل الفيلم.. تلك التفاصيل الصغيرة تجعلنا نَطير من السعادة، رَكضنا في وسط الشارع، قد تبدو إليكم تلك القصة مبالغة.. لكن أقسم إليكم إن هذا ما حدث بالضبط.. سَقط المَطر ليكتمل الشَجن الذي أشعر به، ولازالت هي تركض بلا كلل، لكنها توقفت عندما رأت المطر يسقط.. الأضواء البيضاء في الشوارع تعطي جوًّا رائعًا.. رَفعت يديها إلى أعلى وهي تُغمض عينيها وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة واسعة، كانت تعشق تلك الحركة منذ صغرها.. ضَحكت وأنا أقول لها:

- *ألازلتِ تفعلينها؟*

نَظرت إليّ وهي تبتسم، لم تَرد عليّ فعرفت إجابتها.. نَظرت أمامي فوّجدت شَخصًا يمتلك "كُشك" صغيرًا يبيع فيه (حُمص الشام)، كانت تعشقه.. كُنت أعلم أنها تُحبه، قُلت لها:

- *من الممكن أن آكل معك (حُمص الشام)؟*

أنزلت يديها، ثم نَظرت إليَّ فتهللت أسارير وجهها، بدأت أعرف أنها تُريد ذلك، نَظرت خلفها فوجدتالكُشك.. هَرولتُ إليه فهرولت وراءها، لا أعلم ما الذي جرى لي، تلك الفتاة كُنت أعشقها وأنا صغير، لدرجة أن أهلي وأهلها كانوا يعرفون ذلك.. قبل السفر اشتريت خاتمين.. واحدًا لها وواحدًا لي، جعلتها ترتديه من شدةخوفي من أن تَضيع مني وتذهب إلى شخصٍ آخرَ.. تَوقفت أمام الكُشك وهي تنهج من كَثرة التعب.. رأت النيل فذهبت ووقفت أمامه، أتيت بكوبين من (حُمص الشام)، أعطيته لها وبدأت في أكله وعيناها لا تتحركان من أمام النيل وعيناي لا تتحركان من أمامها، نَظرت إلى يديها وهي تأكل فَوجدت ما فاجأني، أقسم إنه هو! لقد كان الخاتم الذي جعلتها ترتديه قبل سفرها.. قبل اثني عَشر عامًا بالضبط!

أخبرتها وعلى وجهي ابتسامة أخفت ما أنا فيه من توتر:

- *ذلك الخاتم!*

أغمضت عيني وهي تنظر إليّ، أخذت أتنفس بهدوء.. لقد عَرفت حقيقة.. عَرفت شيئًا جَرى بداخلي..

لقد أحببت تلك الفتاة.. أحببتها لدرجة كبيرة، لم أكن أتوقع أن يَحدث كُل شيء بسرعة مثل ما حدث الآن.. أنهت ما كانت تأكله.. ثم أنزلت يدها التي بها الخاتم وسرعان ما أمسكتها، كانت يداها باردتين، أخذت أتحسس الخاتم وهي تَنظر إليّ.. ابتسمت فطأطأت رأسها خجلًا.. قُلت لها كَلمة واحدة لَخصت كُل شيء:

- *أتسمحين لي بأن أتزوجك؟*

* * *

ضَحكت (سماح) و(صفية) مرة واحدة في فرح، ابتسم (أحمد) إليهم في تواضع، قالت (سماح):

- أحببتها في تلك السويعات؟
- لا.. بل كُنت أحبها من أكثر من اثني عشر عامًا، لكنها اختفت.. عادت مرة أخرى في أكثر وقتٍ كُنت أحتاجها به..

ابتسمت إليه في ودٍّ، ثم أكمل الحكاية.

* * *

مرَّ عامان ونصف.. أنجبت طفلًا جميلًا اسمه (نور)، كان هو ورحمة حياتي بأكملها، لا أستطيع حتى ولو مجرد التفكير في أن أعيش بدونهما.. هل تصدقونني لو قُلت أنه طيلة العامين ونصف لم تَحدث أي مشكلة بيني وبين (رحمة)!

بالطبع لا.. لكن أقسم إليكم إن هذا ما حدث.. لقد كُنت أحبها وكانت تُحبني.. إذا لِمَ المشاكل؟

في يوم ما.. حادثتني (رحمة) وقالت إلي إنها ستذهب مع (نور) في رحلة صغيرة في القارب لن تتعدى مدتها ساعة، اعتذرت لها وقُلت إني لن أستطيع الذهاب، فكان عملي يُحتّم عليّ أن أظل متواجدًا معهما.. ثم ذَهبا هما..

كُنت منهمكًا في عَملي لدرجة تكاد لا توصف، في حين رنَّ الهاتف ولم أستطع الرد عليه..رنّ كثيرًا وأنا لا أرد.. هدأ الهاتف تمامًا، وبعد أن أنهيت عَملي مباشرةً رأيت الهاتف، وجدت أنها (رحمة)، لقد اتصلت ثلاث عشرة مرة!!

سُرعان ما اتصلت.. الهاتف مُغلق!

أخذ الشك يراودني.. لم أستطع فعل أي شيء! لكني تركت العمل مُسرعًا وذهبت إلى سيارتي.. بدأت أقود بسرعة خيالية، أمسكت الهاتف وأخذت أتصل أكثر من مرة وفي كُل مرة (الهاتف مُغلق)، ألقيت الهاتف.. صَرخت مما أنا فيه.. بعلو صوتي صَرخت.. لم أستطع فعل أي شيء آخر غير الصراخ.. باقي دقيقتان على الوصول إلى المنزل، سُرعان ما وجدت الهاتف يَرن.. انشغلت بالهاتف..

كانت رسالة، عينٌ على الهاتف وعينٌ على الطريق، نَظرت إلى الهاتف وفتحت الرسالة.. وَجدت كلمتين فقط من رقم غريب "فليرحم الله ابنك وامرأتك".

** * **

استيقظت.. لم أجد نفسي في السيارة.. لم أجد نَفسي في العمل.. لم أجد الهاتف بجانبي.. بل وَجدت نفسي في مشفى!
نَعم، إن هذا مشفى.. لكن ما الذي أدخلني به؟
رأيت بجانبي الممرضة، قُلت لها من دون أن تتكلم:

- *ما الذي أتى بي إلى هُنا؟*

وَجدت صعوبة في النطق.. صعوبة في الحركة، صعوبة في كُل شيء، قالت الممرضة وعلى وجههاابتسامة مستفزة:

- *فلتحمد الله على ما أنت به الآن.. إصابتك كانت واهنة.*

قُلت لها بعصبية:

- *أين زوجتي؟ أين ابني؟*

هُنا رأيتها تبتعد وعلى وجهها ارتسمت علامات الحُزن.. هُنا فَهمت كُل شيء.. بدأت الذكريات تَرجع إليّ مرة أخرى، آخر شيء أتذكره هو أن السيارة انقلبت جراء ما حَدث إليّ بسبب الرسالة التي قرأتها!
أخذت أنفاسي تعلو وتهبط، حرارتي بدأت في العلو، شَعرت بأن الدُنيا تلتف من حولي..
لقد ماتت زوجتي..
لقد مات ابني..
لقد ماتت حياتي..
لقد مُتّ!
تَذكرتُ نظرتها يوم مَسكت يديها، تَذكرت ليلة زفافنا.. تَذكرتُ يوم ركضت بها في الفجر بسبب أن (نور) قد تَعجل على النزول للدنيا.. تَذكرت كُل شيء.. بَكيت، بَكيت إلى أن شعرت أن عقلي توقف عن التفكير وقلبي بدأ ينبض دموعًا.. صرخت في الممرضة، صَرخت في أنحاء المشفى.. وبداخل عقلي صورتها وصورة ابني.. يا الله!!
عندما أتذكر أني أنا السبب الرئيسي في أن يحدثلهم هكذا.. عندما أتذكر أنها طَلبت مني أن آتي معهم ولكني رفضت بسبب عملي.. كُلما يزداد احتقاري لنفسي...
في تلك اللحظة.. حياتي سُلبت مني.. إلى الأبد.. وأخذ الصَمت دوره..

صدر صوت (صفية) وهي تبكي، لكنها حاولت إخفاءه على الفور، نَظر (أحمد) إليها وعلى وجهه ارتسم العبوس، حاول أن يُسيطر على عينه وعلى دموعه فنجح في ذلك.. الليل أضاف إلى ذلك الحديث جوًّا هادئًا يشعرك بالطمأنينة.. لكنه في نَفس الوقت يُشعرك بالحُزن والكآبة.. وكلام (أحمد) أضاف إلى ذلك كثيرًا!

- هل يودّ أحدكم الحديث عن ماضيه؟

نَطقها (عبد الله)، وللمرة الثانية أخذ الصمت دوره ولم يتكلم أحد.. بل نَظرت (سماح) إلى (صلاح) وقالت:

- أودّ أن أقول جُملة.

بدأ القلق ينتاب (صلاح)، خالجه هاجس بأنها ستقول إنهما كانا متزوجيْن.. لكنه قطع ذلك القلق ودكّه دكًّا، بعدما قال هو:

- كُنا متزوجيْن.. ولكني اكتشفت خيانتها لي مع أحدهم.. فألقيت عليها يَمين الطلاق.

نَظرت (سماح) إلى (صلاح) في دَهشة بالغة وقلق تفوّق على الدهشة بمراحل، ثُم نَظرت إلى الجميع، وبدأت تُحصي أعداد المُندهشين، فأردفت:

- هل هذا عيب؟ هو لم يَحبني كما أحببته.. فاضطررت إلى فعل ذلك، فلقد وجدت من يَحبني أكثر منه!

نَظر (صلاح) إليها طويلًا، وقال وهو يُحاول أن يَسكن دَمعته التي كادت أن تخذله وتظهر:

- لكني أحببتك.

نَظر الجميع إلى (صلاح) الذي استكانت على وجهه دمعة صغيرة سُرعان ما كفكفها بيديه لكن الجميع رآها.. فتكلم كالجندي الذي يقذف طلقاته تباعًا ضد عدوه:

- لا أستطيع أن أصف لكم كيف كان حالي عندما رأيتها مع شخص آخر في بيتي.. ذلك اليوم هو أسوأ يوم في حياتي، بالتأكيد لن يكون هُناك يوم أسوأ من هذا.. تركتها وقلبي يُنزف، كُنت أودّعها وأنا لا أستطيعفراقها ليوم واحد فقط.. كُنت أحاول أن أرضيها بشتى الطرق.. أحاول أن أُسعدها بشتى الطرق.. أفعل أيّ شيء تأمر به.. ولا أعلم لمَ فعلت بي هكذا؟ أكانت تكرهني منذ البداية أم ماذا؟

نَظرتْ إليه بُحزن اجتاح أطرافها ووجهها، طأطأت رأسها وهي تَخجل من أن تنظر إليه.. شعرت باحتقار ذاتها جدًّا لِمَا فعلته بذلك الرجل صاحب القلب الطيب.. نَظر (أحمد) إليهما بوهن:

- في أيديكما أن تَحلّا تلك المشكلة.. ليس العام القادم ولا غدًا ولا حتى بعد دقيقة.. بل الآن.. فربما بعد دقيقة من الآن يحدث شيءٌ يبعدكما عن بعض.. صَدقاني.. لو أعطاني الوقت فُرصة بأن يرجع ستة أشهر بالضبط لمدة دقيقة.. أراهما فقط.. أربابني وزوجتي.. أعانقهما حتى تنتهي تلك الدقيقة وأرجع مرة أخرى إلى زمني اللعين..

نَظرت (سماح) إلى (صلاح) فبادلها نَفس النَظرة، فأستطرد (أحمد) وهو يَنظر إليهما:

- الآن.. ربما لن تجدا تلك النظرة أبدًا.

نَظر (صلاح) إلى (أحمد) وعلى وجهه كان الحُزن يتجسد، رأى وَجه (سماح) يبكي وهي تَنظر إليه، ثم هَتف بداخله "يا الله! كم هي جميلة وهي تَبكي!"، نَظر إليها طويلًا وهي تُكفكف دموعها وتحاول أن تتجنب النظر إليه، قام من مكانه بعد تشجيع كبير من الباقين.. جَلس بجوارها وهو يقول لها:

- ربما لن نجد تلك النظرة أبدًا.

نَظرت إليه وعلى وجهها علامات الضعف.. وجهها الذي عليه آثار الدموع.. كَسرت ذلك الوجه العبوس بابتسامة سُرعان ما أخفتها.. لكن ابتسامتها خذلتها وظهرت مرة أخرى.. مَسك يديها وبدأ يَنظر في عينيها..

لم يكن يعرف أبدًا أنه سيَرجع إلى من خانته.. لم يَكن يعرف أبدًا أنه سيراها مرة أخرى ويعود إليها بتلك السهولة!

لكن الحُب يفعل المعجزات، بل يفعل أكثر من ذلك..

يقوم (أحمد) من مكانه ومعه الجميع فيترنحون بخطوات متثاقلة نَحو غُرفهم..

بعد خمس دقائق من السير يَصل الجميع إلى غُرفهم.. يودّع بعضهم بعضًا ثم يَدخلون إلى الغرفة.. يُغيرون ملابسهم.. ينامون على السرير..

وسرعان ما ذهبت أعينهم إلى غياهب الظلام..

* * *

فَتح (أحمد) عينيه، استقبلته الشمس بحفاوة بالغة، كيف يَنسى إغلاق سِتار الغرفة؟ كان متكوّرًا على جانبه الأيمن، اعتدل في نومته وهو يَشعر بشيء غريب ينتابه وينتابه شعور أغرب تجاه الجميع، لسبب لا يعلمه هو، دون حتى

أن يَغسل وجهه أو يستفيق.. جَلس على حافة السرير، استغرق في التفكير كثيرًا، تصاعدت أنفاسه بشدة.. نَظر يمينًا ويسارًا كثيرًا مُدققًا في شيء لا يعلمه.. نَهض من مكانه وعلى وجهه ابتسامة، ذهب ناحية تقاطع جدارَيْن، وجد مقعدًا على يمينه فأخذه، وضعه أمام الجدار، اتكأ عليه ورفع يديه ليلتقط شيئًا ما، وَجد كاميرا صغيرة للغاية في حجم عقلة الإصبع لونها بُني، التقطها بيده ثم أخذ ينظر إليها كثيرًا.. نَظر إليها بغضبٍ بالغ، استجمع قواه وألقىبالكاميرا على الأرض فلم يحدث لها شيءٌ.. ابتلع ريقه بصعوبة، نَزل عن المقعد، خَرج من غُرفته بعدما أغلق ستار الغرفة فأصبحت غارقة في الظلام، اتجه نَحو غُرفة (صلاح)، وَقف أمامها كثيرًا.. رَجع عدة خطوات للوراء، وهرول تجاه الباب وكسره.. ليستيقظ (صلاح) مفزوعًا وتوجهلـ(أحمد) بنَظرة لم يفهم معناها.. اتجه أحمد إليه بخطوات سريعة، أخذ يَنظر إليه طويلًا.. لكنه لم يتكلم، بل انقض عليه..

لم يَعرف لماذا يَضربه، لماذا كَسر الباب، لماذا فعل كُل هذا..

وكأنه يُنفذ أوامر خفية!

* * *

استيقظ (عبد الله) على أصوات غريبة! صوت صراخ، كَسر أشياء، هُناك شيء غريب يَحدث لكنه لا يعرفه، انتفض من مكانه، ولم يعطِ لنفسه مُهلة، كان الستار مفتوحًا والشمس تطمس عينيه، هُناك مَن دخل تلك الغرفة!

بدأ بالنظر يمينًا ويسارًا، فأيقن أن الصوت في الغرف المجاورة، خَرج من غُرفته دون حَتى أن يَغسل وجهه، سَمع صوت الصراخ يمينًا، رأى الغرفة المجاورة غرفة (صلاح)، فرأى بابها مفتوحًا و(صفية) تَقف فاغرة فمها، اقترب من الغرفة أكثر فوجد (أحمد) وهو يَجثم على صدر (صلاح) ويُلكمه من كُل حدبٍ وصوب، لا يعرف ما الذي يَجب عليه فعله، قد أصبحت الغرفة حَظيرة لا توافق الحيوانات على العيش بها، ابتلع ريقه، وصيحات (صلاح) تعلو ولا تنخفض أبدًا، (أحمد) يفعل ذلك وكأن هُناك ثأرًا قديمًا بينهما! نظراته تدل على شرٍّ وغضب لا نهاية لهما! رَكض (عبد الله) نحوهما ثم قفز على (أحمد)، وَقع (أحمد) من فوق (صلاح) إثر قفزة (عبد الله)، أخذ (عبد الله) ينهج بسبب وَزنه الكبير، و(صلاح) أغشي عليه والدماء تتجمع حوله، عيناه بهما كُتلة مكثفة من الدماء، نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) بغضبٍ واضح، ثم قال له بنفس متهدج:

- لِمَ فعلت هذا أيها الغبي؟

طأطأ (أحمد) رأسه صامتًا، نَظر (عبد الله) إلى (صلاح) وجده لا يتنفس! اقترب منه بلهفة، ثم وضع رأسه على قلبه فوجده ينتفض، ارتاح قليلًا، فأخذ يَنظر لـ(أحمد) نَظرات مُريبة، نَظر (عبد الله) حَوله فلم يجد (صفية)، سَمع صوت (صلاح) وهو يتكلم بصوت خفيض:

- ما.. الذي.. حَدث؟

قال (عبد الله) له وهو يُهدئ الأنفس:

- لا شيء يا صديقي.

ثم نَظر إلى (أحمد) معاتبًا إياه، فوجده مطأطئ الرأس كما هو، قال (عبد الله) إليه:

- ساعدني، يجب أن نُجلسه على المقعد..

قام (أحمد) من مكانه وهو لا يتحدث، ساعد (عبد الله) على أن يجلسه على المقعد وتم ذلك بالفعل، جَلس وهو لا يستطيع حتى أن يتكلم، نَظر (عبد الله) إلى (صلاح) وهو يُربت على كتفه فأردف:

- هل أنت بِخيرٍ الآن؟

نَظر (صلاح) إليه وابتسم ابتسامة تكاد لا تُرى فأومأ برأسه، أتت (صفية) من ورائهما وعلى وجهها ابتسامة غامضة، لم يعطِ أحدهما إياها اهتمامًا، نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) الصامت، مؤكد صمته هذا بسبب ندمه على ما فعله، امتلأت عينا (عبد الله) بغضب شديد، ثم أخذ يتأمل العصا التي كانت وراء (صلاح)، ذَهب إليها بخطوات مترقبة، أخذها ونَظر إلى (أحمد) بنفس ذات النظرة الغاضبة، وقف وراء (أحمد) كالشيطان، ثم ضَربه ضربة على مؤخرة رأسه جعلته يَفترش على الأرض فورًا!
نَظر (صلاح) إلى (أحمد) وقد اتسعت عيناه في رُعب!، أطلقت (صفية) صَرخة مُريبة، وعادت نظرة (عبد الله) الطيبة البريئة كما كانت.. ولكنه في تلك المرة صَرخ وتَرك العصا تقع من يده:

- ما... ماذا فعلت؟؟؟!!!!

نَظرت إليه (صفية) وعلى وجهها ارتسم الرعب فأردفت:

- لقد ضَربته بتلك العصا على رأسه!!!!

نَظر إليها مُستنكرًا:

- هذا لم يَحدث.. أنا لم أفعل أي شيء!!!!!!!

فعلًا، لم يَدرى (عبد الله) فعلته فكأنه كان نائمًا مغنطيسيًا يَفعل أمرًا من أوامر خفية إليه! نَظر إلى (أحمد) وأخذ يُردد:

- لم أفعلها.. أقسم لكم لم أفعل شيئًا!

كان (صلاح) مُندهشًا مما يَحدث، نَظر إليهم والرعب ازداد على وجهه، ألقى جُملة جعلت الجميع يتعجب:

- أين (سماح)؟!!!

* * *

الأضواء مُغلقة، الغُرفة معتمة.. تكاد لا تَرى كَف يديك من كَثرة الظلام، الغُرفة مُنقلب حالها، الزجاج مُحطم ومُلقى على الأرض، دماء مُلطخة على الأرض. و(سماح) مُلقاة على الأرض في غُرفتها.. والدماء تتجمع من حولها بغزارة. اجتمع الجميع أمام الباب، (صلاح) كان يسير بصعوبة بالغة، لكن دماءه هدأت من النزول، وَجد باب غُرفة (سماح) مفتوحًالكنه يَظهر للجميع وكأنه مُغلق، اقترب (أحمد) من الباب، فَتحه ببطء شديد، ثم هرول ناحية (سماح) المُلقاة على الأرض، وجدها مغمضة العينين، الدماء تَخرج من فمها، رأسها به الكثير من الدماء، وبجانب جسدها كانت هُناك عصا، جَثا على رُكبتيه وهو يَضربها برفق على وجهها، بدأت عيناها تنفتحان ببطء، لكنها لم تتكلم.. نَظر (صلاح) إليها بُحزن وأسى وهو واقف أمام الباب بالضبط، طأطأ رأسه لأنه لم يُحافظ عليها! على الأقل لم يستطع أن يمنع عنها الأذى..
نَظر (أحمد) إلى (صلاح) وهو يقول بذعر:

- ألست طبيبًا؟؟ فلتتفضل وتفعل شيئًا، رأسها ينزف.

اقترب (صلاح) بمساعدة (عبد الله)، جَثا على ركبتيه بجانب (أحمد)، نَظر إلى (سماح) بأسى وهو يقول:

- أريد قُماشًا كي أُضمّد رأسها! لا يوجد أيّ شيء لوقف النزيف!

قالها بصعوبة، نَظر إليه (أحمد) بحُزن، قام من المكان وفَتش في كُل مكان بالغرفة، لكنه لم يجد أيّ شيء!
وَضع (صلاح) يديه على وجهها وهو يقول برفق:

- تحملي يا حبيبتي، الآن سنضمّدها..

خَلع (صلاح) التي شيرت الذي يرتديه، ثم قال لأحمد:

- أعطني سكينًا.

نَظر إليه (أحمد) وأومأ برأسه، فَتح الدُرج الذي به كُل شيء، وَجد به سكينًا، أغلق الدرج فأعطاها لـ(صلاح)، قطع التي شيرت الخاص به وأتى بقطعة طويلة، قال لها:

- الآن سترفعين رأسك..

وضع (أحمد) يديه على رأسها ورفعها فوضع (صلاح) القطعة على رأسها وأخذ يلفها، نَظرت إليه بصعوبة وهي تقول ببطء:

- شُكرًا..

ابتسمت ابتسامة كادت أن لا تُرى، فابتسم لها، ابتسامة امتزجت بالحُزن! ضمد رأسها جيدًا وطلب المساعدة منهم في أن يضعها على السرير، بالفعل، لَبّى (أحمد) و(عبد الله)طلبه للمساعَدة، ولم يستطع (صلاح) أن يُلبّيطلبه للمساعَدة بسبب إصابته، نَظرت (صفية) إليهم بشيء من الرعب، وضعوها على السرير ثم التفتّ(عبد الله) إليها وهو يقول:

- صفية.. أين كُنتِ عندما كان (أحمد) يَضرب (صلاح)؟

* * *

بَعد مُرور أربع وعشرين ساعة:
وقف الجميع أمام الشاشة الكبيرة في الصالة الواسعة للفندق، رأوْا كُل ما حدث أمامهم على الشاشة، نَسي الجميع ما حدث.. لم يعرف أحدهم ما الذي صار لهم، لقد مُحيت منهم ذاكرتهم لمدة يوم، استيقظوا الليلة وهم لا يتذكرون شيئًا أبدًا، وجدوا صوت شخص يقول (اتجه إلى الصالة الواسعة)، أخذ يُكررها عدة مرات حتى التقى الجميع هُناك وهم يتساءلون، رأوْا وَجه (سماح) و(صلاح) فصُدموا، أخذوا يتساءلون فُعُرض عليهم كُل شيء حدث في الشاشة.. وانتهى العرض بسؤال (عبد

الله)، أين كانت (صفية) عندما ضَرب (أحمد) (صلاح)!
كانت صالة الفندق واسعة بحق، وكما يُطلق عليها (الصالة الواسعة)، تَشعر وكأنك بقصر ملك إنجلترا، تلك الأضواء البرتقالية التي تشع بكل شبر في المكان، نَجفة كبيرة مُعلقة في الوسط، مساحة لا تُحصى، لكنها تقريبًا أشبه بشارع عَتيق لم تتآكل أواصره، مقاعد كثيرة أشبه بساحة مُحاضرات في جامعة هارفارد، لا يُوجد شيء ممُزق، لا يوجد مقعد غير مُناسب بمكانه..
لا تستطيع أن تُخرج أيّ خطأ ههُنا في تلك الصالة!
لكن تلك الصالة لن تُخرجنا عن موضوعنا.. نَظر (أحمد) إليهم فأردف بغضب:

- ما الذي جَرى؟ شيءٌ ما يحدث ههُنا!
- لا بُد أن نَكتشف ما يجري!

قالتها (صفية) فَنظر الجميع إليها، نَظرت إلى (أحمد) نَظرات صلبة كالحديد، فقال إليها بعدما تحولت نظرته إلى ابتسامة تكاد لا تُرى:

- جميعنا نُريد ذلك لكــ..
- لكن كيف؟

نطقها (صلاح) بزمجرة قوية، ثم ساد الصمت، نَظر إليه (أحمد)، وأخذ يمشي في الصالة حَتى جَلس على المقعد، جَلس على المقعد فتبعه الآخرون إلا (صلاح)، كان واقفًا رافعًا رأسه بشموخ، تَكلم (عبد الله) وارتسمت الجدية على وجهه:

- نعود إلى ديارنا.

نَظر إليه (أحمد) مُسرعًا وقال:

- بتلك السهولة! لقد مضينا على أوراق يا صديقى، لو خَرجنا من الفندق فسنُزجّفي السجن!
- نَعيش في سجنٍ نَعرف من حَبسنا فيه أهون عليّ من أن أعيش في فُندق لا أعرف عن أصحابه شيئا!

سَكت الجميع للمرة الثانية على التوالي تَدبرًا بكلام (عبد الله)، نَهض من مكانه وهو يصيح:

- سأعود.. أنا على أتم استعداد لأن أُزَجّ بالسجن!

ذَهب بخطوات مُتثاقلة توّد العودة.. توّد لأن تسمع صوت أحدهم يقول سآتيمعك! لم تَطُل لحظات التَمني.. فسمع صوتًا أنثويًّا حادًّا يقول:

- سآتي معك يا (عبد الله)، أريد أن أعيش في سجنٍ أعرف مصيري به!

أدار رأسه، فعرف أن ذلك الصوت هو صوت (صفية).
ابتسم لها، فردّد:

- في الصباح الباكر..

أومأت برأسها إليه وابتسامة حانية على وجهها..
ثم ذهب مترنحًا إلى غُرفته..
ونَظر الجميع إلى بعضهم، وتجمعتعلى وجوههم أسمى معاني الدهشة!
والخوف!

* * *

"ها هو الطريق..
ها هي الحرية..
إنها تُلوح في الأفق..
إنها لا توافق على أن أكون جُزءًا منها..
الحُرية..
أريد الخروج من هذا السجن..
أريد أن أعيش بسلام..
أريد أن أكون ما كُنت..
أريد العودة إلى دياري..
أريد رؤية أمي!"

نَطقها (عبد الله) وهو نائم على سريره، إنه يَحلم بالحُرية.. يَحلم أن يعود، لكن هذا الحُلم صعبٌ تنفيذه للغاية!
فَتح عينيه في بُطء شديد، نَظر إلى السقف، إن هذا السقف هو سَقف غُرفته في شقته القديمة!
قام من مكانه بلهفة، استند بظهره إلى السرير، آلمته عيناه قليلًا فأخذ يفركهما، نعم إنه في غُرفته بشقته! ضَحك! نَفس الملابس المُلقاة على الأرض، نفس الغرفة مُنقلبة الحال.. نَفس الضوء الأصفر الذي تَشعه أشعة الشمس التي تَملأ الغرفة.. ضحك بفرحة تَملأ كيانه ووجدانه، رَفع الغطاء من جسده فنهض من مكانه، رأى شباك الغرفة مَفتوحًا، اقترب منه وعيناه لازلتا تؤلمانه، رأى ما كان

يراه.. الحال كما الحال.. لم يَتغير.. وَقف في الشباك وهو يضع كفه على خدهكما هي عادته.. نَظر إلى البشر أجمعين.. وعلى وجهه ابتسامة كبيرة..
ابتسامة كانت هي السبب في أن يستيقظ من نومه العميق..
استيقظ (عبد الله) من نومه ليَجد نَفسه نائمًا على سريره بداخل الفندق اللعين، فَتح عينيه ليَجد سقف غرفته بالفندق.. يالها من تعاسة!! يالها من نهاية حزينة لحُلم جميل!!
استكانت على وجهه دمعه، فمسحها مُسرعًا قبل أن يَشعر بها.. ثم نَطق بصوتٍ عال:

- يا الله!!أنجدني كي أخرج من ذلك الفندق اللعين..

رَفع رأسه إلى السماء مُستنجدًا بإله العالمين، نَظر إلى رُكن من أركان الغرفة..
فوجد كاميرا مُراقبة صغيرة جدًا تكاد لا تُرى.. فهو نفسه لا يَعلم كيف رآها!
نَهض من مكانه وارتدى ملابسه مُسرعًا، أمسك بحقيبته التي لم يفتحها منذ أن جاء، خَرج من غُرفته دون حتى أن يَنظر إليها نَظرة الوداع الأخير..
خَرج فوجد (صفية) جالسة بانتظاره في الصالة الواسعة، ابتسم لها وهو يقول:

- مُنذ مَتى وأنتِ هُنا؟

ابتسمت له هي الأخرى وقالت بِود:

- ساعة ونصف تقريبًا..

دُهش (عبد الله) وقال:

- لِمَ لمْ تأتِي وتَطرقِي الباب؟
- لم أودّ أن أزعج راحتك.. وها أنت مُتيقظ الآن..

نظر إليها بحُب حقيقيّ.. فلا يعلم ما الذي جَناه قلبه تجاهه، فهو يَخشى أن يُحب أيّ أحد في تلك الدُنيا.. يود أن يرحل بسلام كما أتى بسلام!
سار بخطوات بسيطة فسارت هي خَلفه لا يَعلم كيف سيسير! وهي أيضًا لا تعلم، لكنه خَرج من الصالة الواسعة وذهب إلى غُرفة الاستقبال فلم يجد أيّ أحد!
وَجد الطُرق خالية.. والشمس بأشعتها الحارة تحتل المكان، فَعرف أن الخُروج سهل للغاية، وَجد الأبواب، فأدار وجهه إلى (صفية) وابتسم، نَظرت إليه وبادلته الابتسامة..
اقترب من الباب وهو يُردد:

- ها هو الطريق.. وها هي الحرية.

كان خائفًا للغاية، رَغم أن لا أحد يَقف أمام الأبواب.. رَغم أن لا أحد اعترضه.. لكنه كان خائفًا لسببٍ ما.. مجهول!
وَقف أمام الباب، أغمض عينيه في تردد شديد، تَنهد بخوف وبحسرة، إنه يودّ الخروج.. لكن لا يعرف كيف!
نعم.. إنهم البشر يسيرون إلى عملهم.. يطيرون بأحذيتهم الطائرة، كم كان يودّ أن يرى ذلك المشهد منذ أن جاء، لقد اشتاق إلى عبثية الطرق، لقد اشتاق إلى السير في أوْج الحر صيفًا وصقيع البرد شتاءً.. اشتاق إلى الأرض وما عليها!
كان الباب عبارة عن زجاج شفاف يجعلك ترى البشر كُلهم، اندفع إلى الباب ببطء فلم يستطع فتحه.. اندفع إليه بقوة أكثر فلم يستطع أيضًا.. ابتعد خَطوتين واندفع نحو الباب بلا جَدوى.
أمسك مِقعدًا موجودًا في صالة الاستقبال ثم حاول كَسر الزجاج، صَرخت (صفية) في ذعر مما رآته، لكنه لم يَستطع كَسر الزجاج.. الناس كانت تراه ولم تكن تعطيه أدنى اهتمام، كانوا يَنظرون لكنهم يَقطعون نظراتهم مُسرعًا.. ألقى (عبد الله) المقعد بعيدًا بعدما فشل في كسر الزجاج وأخذ يَصرخ:

- فلــيســـاعـــدنـــا أحـــدكـــم..

نَطقها عدة مرات، لكنك تَشعر وكأن الصوت لا يَخرج إليهم..
شعر بأن أحباله الصوتية تَمزقت تمزيقًا، فهدأ تمامًا..
هدأ حتى جَثا على رُكبتيه وأخذ يبكي..
فما يَحدث إليه الآن هو أصعب عِقاب تلقاه في حياته..

* * *

نَظر (سامر أبو العينين) إلى الشاشة التي تَعرض(عبد الله) وهو يَجثو على ركبتيه، الشاشة التي تُراقبهم بمعنى أدق..
ضَحك (سامر) ضِحكة هازئةامتزجت بشماتة بالغة ثم أردف:

- لن يَستطيع..

ثُم تَجرع من الكأس الذي أمامه وهو يُراقب (عبد الله).
بل يُراقبهم جميعًا!

* * *

بدت ملامح (أحمد) شاحبة، كان جالسًا أمام حمام السباحة مرسلًا ناظريه إليه، يُفكر مليًا بما حَدث بـ(عبد الله) و(صفية)، فازدرد ريقًا جافًّا يُحمل همًّا، الشمس في أوج قوتها، فكانت تُرسل أشعتها الذهبية بقسوة وبلا رحمة، قام من مكانه ثم سار بخطوات متعثرة نحو حمام السباحة، كان يطوف حوله ولا ينقطع حبل تفكيره.

نَظر يمينًا ويسارًا فسمع صوت باب غُرفة أحدهم يُفتح ويُغلق، نَظر تجاه الغُرف فوجد (صلاح) خارجًا، شعّ وجه (أحمد) بابتسامة مُرحبة بـ(صلاح) ثم أردف قائلًا:

- صباح الخير يا صلاح..

حَدج (صلاح) (أحمد) بنَظرة غير مُتفهمة فنطق:

- صباح النور، اعذرني فأنا لم أنم جيدًا..
- لا عليك.. فأنا مثلك..

حَدجه مرة أخرى بنظرة تساؤل، ثم بدا مُفكرًا فقال لأحمد:

- هل رجعوا إلى ديارهم؟

نَظر إليه (أحمد) بعدما خَطفته أجواء الرجوع إلى الماضي.. فأجاب:

- لا أظن ذلك..

فسمعا صوت فتح الباب، ثم نَظرا مُسرعيْن إلى الباب فوجدا (صفية) و(عبد الله)، جَلس (أحمد) على الأريكة كما كان دون اكتراث وقال:

- ألم أقل لكم!

نَظرت (صفية) إلى (عبد الله) وهي تقول:

- للأسف كلامك كان صحيحًا.. فلم نستطع الخروج..

اقترب (عبد الله) من (أحمد)، ثم جلس الأربعة على المقاعد، بعضهم أمام بعض، رَفع (أحمد) شفتيه للتحدث لكنه سرعان ما سمع صوت الباب يُفتح، ثم دون أن ينظر إلى الباب أردف:

- تفضلي يا (سماح).

نَظر الجميع إليه ووجوهم تشي بالعَجب، اقتربت (سماح) منهم وجلست على المقعد وحمام السباحة يَشع ضوءًا أزرق، قالت لأحمد بعدما علت أمارات التعجب وجهها:

- كيف عَرفت أنني من دخلت يا (أحمد)؟

ابتسم (أحمد) ابتسامة مقتضبة وهو يقول:

- وهل هناك أحد بالفندق غيرنا؟

بادلته ذات الابتسامة المقتضبة، فقال (أحمد) بصوت عال نسبيًا:

- هل هُناك اقتراحات لفعل أيّ شيء بما أننا مُجتمعون الآن؟

رَفعت (سماح) يدها، فأومأ (أحمد) برأسه إليها فقالت:

- عندما استيقظت اليوم وجدت كاميرا صغيرة في حجم إصبعي، فأظن أن رؤساء الفندق يعرفون كُل أخبارنا بسبب تلك الكاميرات، فلو كسرنا الكاميرات ســ...

أشار إليها (أحمد) بخفض صوتها كي لا يسمعها أحد من رؤساء الفندق، ثم استطردت:

- فلو كسرنا الكاميرات سيأتي إلينا أيّ أحد كي يعلّقها مرة أخرى.. وبتلك الطريقة نَحتجزه ونسأله عن كُل شيء يعرفه!

مالبث (أحمد) أن فَكر، فأردف مُسرعًا:

- أظن أن تلك المؤسسة أذكى من ذلك كُله.. فأنا لديّ فكرة أفضل من ذلك ولكنها مُشابهة لها قليلًا..

* * *

وَقف (عبد الله) في غُرفته أمام باب الدخول، أغمض عينيه في خوفٍ وقلق وأردف:

- جاهزون؟

فتكلم الجميع في نَفسٍ واحد بصوت خفيض:

- نعم.

ذهبت الشمس إلى بيتها، وها قد توَهج الليل بنجومه المستنيرة، كُلهم وقفوا في غُرفة (عبد الله) الواسعة، نَظرًا لأنها أول غُرفة يأتي إليها مُصطحب الطعام، يبدو أن الوَضع مُريب.. فالساعة السابعة وخمس دقائق ولم يأتِ مُصطحب الطعام!

كانوا مُختبئين، أحدهم خلف الدولاب، وأحدهم تَحت السرير، وأحدهم يجلس على الأرض..

فازدرد (عبد الله) ريقًا جافًا وأصبح ممتقع اللون، وجهه يُنذر بقلقٍ وخوف شديديْن.. ولكن ليس (عبد الله) فقط!

بل كان الجميع خائفين، قلقين، يبدو أن هُناك كارثة ما ستحدث بعد قليل..

دَق الباب ثلاث دقات متتالية، ثم نَظر (عبد الله) إليهم ووجهه يَحمل أشدّ معانيالخوف، نَظر إليه (أحمد) وقال له بصوت خفيض جدًا:

- هيا يا (عبد الله)!!

أومأ (عبد الله) برأسه، ثم استدار مرة أخرى ناحية الباب ببطء شديد.. ففتح الباب فوجده واقفًا أمامه، ابتسم له مُصطحب الطعام، كانت هيئته مريبة بحق، فكانت هُناك دماء متناثرة بجانب رقبته بالضبط، لحظها (عبد الله) مُسرعًا فازداد خوفه أضعافًا، أخذت أنفاس (عبد الله) تعلو وتهبط بشدة، اقترب مُصطحب الطعام بالطعام الذي يَحمله على النقالة، ابتسم له (عبد الله) بقلقٍ شديد، وسرعان ما ظهر (صلاح) من خلف الدولاب، ثم ضربه بكعب المسدس على رأسه فسرعان ما سقط على وجهه.

ثم ظهر الجميع بغتة وكأنهم أشباح الغرفة، نَظر الجميع إليه ووجدوا الدماء تتناثر منه، أبعدوا ناقلة الطعام من أمامهم ووضعوا مقعدًا، أُضيئت الغرفة بالكامل، وجلس مُصطحب الطعام المَغشي عليه على المقعد، ذقنه تستند على صدره ومغمض العينين، رَبطوا يديه وقدمه، فجلس الجميع أمامه ينتظرونه أن يفيق..

قام (صلاح) ووضع يديه على قلبه، فاطمأن قلبه وعَرف أنه لايزال على قيد الحياة..

انتظر الجميع ما يفوق عن النصف ساعة حتى أفاق مُصطحب الطعام، بدأت عيناه تُفتحان، وسرعان ما وقف (صلاح) وهو يُردد:

- أفاق.

انتشر الصمت بين الجميع، ولكن (صلاح) ظل واقفًا أمامه كالشبح، لا تَرفّ له عينٍ، بل كان على أتم الاستعداد بأن يَنطحه، رَغم قوة (صلاح) الفكرية والبدنية

قليلًا، لكنه كان خائفًا من شيء ما لا يعرفه!
قال (صلاح) لمُصطحب الطعام:

- ما رأيك يا صديقي لو أصبحت صريحًا معي! سأسألك بضعة أسئلة وتُجيب عليّ، وبعد أن تُجيب عليّ إجابات تُرضي عقلي وضميري سأجعلك تذهب.. أما إن ظللت ساكتًا كالمرأة الحامل فلا ينبغي عليّ قول ما سأفعله بك يا صديقي.

تَنفس الرجل ببطء وهو يُحاول أن يَرفع يديه كي يضعهما على رأسه لكن محاولته باءت بالفشل التام، كان مُغمض العينين لكنه يسمع ويعي كُل شيء، فاستطرد (صلاح):

- أين رؤساء هذا الفندق؟ من هُم؟ قُل لي أيّ شيء تعرفه يا صديقي.

نَظر إليه الرجل وعيناه مُحملتان بهمٍ كبير فلم يَرد، لَمعت عينا الرجل بدمعتين صغيرتين لم يَفهم أحد من الجالسين مغزاها، ازدرد (صلاح) ريقه وقال بعدم ثقة:

- ما بك؟

فَتح الرجل فاه عن آخره، فما لبث أن رجع (صلاح) على الأرض ووقع، زاد بريق عينيه، ولم يفهم أحد ما يحدث! وَضع (صلاح) يديه على قلبه، وبدأ بالرجوع إلى الباب حتى التصق به، لم يَرَ أحد ما بداخل فم ذلك الرجل، فقال (صلاح) برعب شديد وعيناه لازالتامتسعتين عن آخرهما:

- لسانه.. لسانه.. لقد قطعوا لسانه.

ثُم خرجت صرخة تلقائية من (صفية)، فنَظر (أحمد) إلى (صلاح)، فَحدجه بنظرة مُرعبة، نَظر مرة أخرى إلى الرجل واشتدّ الغيظ بوجهه، فقام من مكانه مُسرعًا تجاه (صلاح) وقال له:

- أعطني سلاحك.

وبدون تفكير أو تردد، أعطاه (صلاح) السلاح، وأخذ قلب (أحمد) يَدق طبوله، أغمض عينيه وهو يقترب من الرجل الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة تَدل على الغرور الشديد، يبدو أنه كان سعيدًا عندما قصّوا لسانه!
اقترب (أحمد) منه بشدة، ثم رَفع المُسدس تجاه الرجل بالضبط ناحية القلب..
أغمض عينيه في تردد وخوف لا مثيل لهما..
ثم ضغط على الزناد.. لتدوّي الرصاصة بأرجاء المكان..

- ما الذي فعلته يا أحمق؟؟!!

قالها (عبد الله) بفزع حقيقيّ، (صفية) وَضعت يديها على فيها وعيناها في ذروةاتساعهما، (سماح) لم تَفعل شيئًا إلا أنها كانت جالسة بجانب (صلاح) واضعة يديها على كَتفه وتُربت عليه في حنان بالغ، لا يُهمها أيّشيء إلا هو، (صلاح) كان يَنظر إلى (سماح) بشيء من الحُب الذي كاد أن لا يُظهره.. لكنه فشل في إخفائه.
نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) الذي لم يَعرف ما الذي دَهاه وما الذي أجبره على قَتل ذلك الرجل؟
شَعر بغضب كبير يجتاحه عندما قتله، ولكنه سُرعان ما زال عنه عندما رأى دماءه تُغطي الأرض، قال (عبد الله) له بخوفٍ:

- لن تتَرك الجُثة هُنا بالغرفة، صحيح؟

نَظر إليه (أحمد) وعيناه تتسعان تلقائيًّا، طأطأ رأسه ولم يعرف لذلك السؤال إجابة!

* * *

ألقى (أحمد) و (عبد الله) الجُثة قبل باب الفُندق، فرأى (أحمد) الناس الذين بينه وبينهم باب زجاجي، كانوا يمرون ورأى أحدهم الجُثة لكنه لم يَتكلم ولم تتغير تعبيرات وجهه، نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) فأردف:

- حاولنا كَسره.. لم نستطِع.

تَنهد (أحمد) بنفاد صبر، ثم قرر السير مع (عبد الله) إلى غُرفته، لكنه رأى كاميرا مُراقبة صغيرة في رُكن من أركان صالة استقبال الفندق الواسعة التي لم يكن بها أحدٌ.. اقترب من الكاميرا ببطء وهو مرسل ناظريه إليها، ثم وَقف مباشرة أمامها وأخذ يَصرخ حتى شعر أن أوصاله تَمزقت:

- اللـــعــنـــة عـليــكــم.

وَقف بمنتصف الصحراء، الجوّحار للغاية، لا يستطع أن يفعل شيئًاالبتة، لكنه يَشعر بسعادة لا يَعرف سببها، أهي تلك الفتاة التي تلوح في الأفق؟
لم يَعرف (عبدالله) شيئًا، فقد كان واقفًا والعرق يتصبب من أعلى جَبهته، حرارة الشمس لا تُقاوَم، فهو يَشعر أنه سيذوب، الجبال العالية في الأفق كانت تعطي منظرًا مهيبًا، ثمة شيء ما يدفعه للتحرك من ذلك المكان، لا يَتحرك، بل يركض!

- عبدالله..

كان الصوت يأتي من خلفه، نَظر وراءه ببطء فوجد امرأة تتربص، لم يعرف من هي.. لكن المسافة كانت بعيدة، ووجهها مُغطى بملاءة فخَفيت ملامح وجهها، نَظر إلى المرآة الأخرى التي أمامه فلم يعرف أيًّا منهما!

- عبدالله..

إن ذلك الصوت يَعرفه جيدًا، نَعم، إن هذا الصوت عاش داخل عقله كثيرًا، تَجهم وَجه (عبد الله)، فَشعر بأن الحرارة تقل.. تقل كثيرًا! والجو أصبح باردًا فجأة، فاختفت الشمس بغتة، وأنزلت السماء دموعها..
لكن هُناك شيء مُخالف لقوانين الطبيعة يَحدث، إن المرآة التي وراءه كانت تَحترق! المطر يأتي عليها ولكن النار لا تتأثر! ثُم صَرخت المرآة بُحزن:

- عبــدالله...

لَقد عَرف الصوت، لقد أيقن من هذه؟ إنها أمه..
كانت تَحترق، فتشتت عقله ولم يستطع التفكير، لكنه سُرعان ما رَكض بالرغم من جسده الضخم، رَكض (عبد الله) بسرعة جنونية، لكنه كُلما اقترب كانت أمه تَبعد، هُناك شيء ما يجذبها للخلف.. لم يستطع (عبد الله) فعل شيء لكنه لم يتوقف عن الركض، وصرخ فجأة:

- أمـــــــــي..

ثم استيقظ من نومه، والعرق يغطي وجهه، انتفض فجأة ولهثت أنفاسه.. حَمد الله على أن هذا مُجرد حِلم وشعر براحة تغمره.
لكنه رأى نورًا على الحائط من ناحيته اليُمنى.. شاشة بيضاء على الحائط..
وبدأت الصورة تتفتح رويدًا رويدًا..
واتسعت عينا (عبد الله) في رُعبٍ شديد..
ووقف مُتجهمًا!

- عبدالله...

نَظر إلى الصورة، فوّجد أمه وهي نائمة على سرير والكاميرا أمامها تبث كُل شيء إلى (عبد الله) مباشرةً، لكنها لم تكن نائمة، كانت مريضة، وجهها شاحب وتشعر لوهلة أنه متجمد، يبدو أنها على وشك أن تودّع تلك الحياة التعيسة.
لم يَدرِ(عبد الله) ما الذي سيفعله، لقد ارتكب إثمًا شديدًا عندما وافق أن يَحضر إلى ذلك الفندق اللعين، نَظرت أمه إلى الكاميرا، فعرف (عبد الله) أن الشركة هي من دَبرت ذلك، ثم أردفت وهي تلهث بشدة:

- اشتقت إليك يا وَلد.. سأذهب دون أن أُسلم عليك السلام الأخير، أنا آسفة يا بُني أني سأذهب دون وداع، أرجو أن تكون الكلمات التي ألفظها الآن ود...

ثم توقفت فجأة عن الحديث وكأنها تأخذ أنفاسها المتقطعة، فاستطردت قائلة:

- وداع..

فجأة نَظرت إلى أعلى الكاميرا قليلًا بنظرة خوف واضحة، كأنها تنظر إلى شخص ما..
ثم نَظرت إلى الكاميرا مرة أخرى، ارتسمت على وجهها ابتسامة حانية، لكنها سُرعان ما أُزيلت عندما أغمضت عينيها لتعلن رحيلها بهدوء وصمت تام..

* * *

جَلس (سامر أبو العينين) في الشرفة التي تطل على الحدائق الخضراء مُباشرةً، وراءه كانت صورة (عبد الله) وهو يُخرب غرفته، لكنه لا يعطي له أدنى اهتمام، بل قام من مكانه وفي يده كأس ممتلئ إلى منتصفه بالنبيذ، فهو يَشعر براحة كبيرة عندما يتجرع النبيذ ويَنظر إلى الحدائق..
قام من مكانه واتجه ناحية البيانو في صالته بالفندق..
وَضع الكأس على الطاولة، جَلس أمام البيانو.. وأخذ يعزف...

* * *

وَقف (أحمد) أمام غُرفة (عبد الله) يَطرق على الباب، كان يَسمع صوت أشياء تُكسر ونحيب (عبدالله)، لا يعلم ما الذي يَفعله (أحمد) لأجله، كان يَطرق الباب بشدة حتى

شعر أن يديه ستنزفان.
أتى (صلاح) من جانبه مهرولًا وسأل (أحمد):

- ما الذي يَجري؟ لقد استيقظت مفزوعًا!!
- لا أعلم، لكن ثمة شيء يحدث بالداخل..

طَرق (صلاح) مع (أحمد) على الباب وهما يُناديان:

- عبـــدالله.

لا يَسمعهما، بل يَكسر أيّ شيء يُقابله ويبكي.. يبكي كما لم يبكِ من قبل، ابتعد الاثنان عن الباب، ثم قالا:

- واحد.. اثنان.. ثلاثة..

واندفعا نَحو الباب فباءت محاولتهما بالفشل، وَضع (صلاح) يديه على كَتفه متألمًا، فرجع الاثنان مرة أخرى وفعلا كما فعلا، فنَجحت محاولتهما ليجدا (عبدالله) أمامهما يبكي وهو مستند إلى الحائط، دموعه غالبت أنفاسه، فَنظر إليه (أحمد) وقال له:

- ما الذي حَدث يا عبدالله؟

نَظر (عبدالله) إلى الأرض فسقطت دمعة نحوها، فظل (أحمد) مُحدقًا به، فتكلم وهو مُطأطئ الرأس ودموعه لا تجف:

- لقد قتلوا أمي يا (أحمد).. لقد قتلوها...

اهتزت أركان (أحمد)، شعر بنيران تَسري من بين جلده ولاح الغضب بعينيه، حَزن لـ(عبد الله) وغَضب.. فنظر إليه قائلًا:

- سنأتي بحقها..

ثم سار (أحمد) مُبتعدًا عن الجميع..

* * *

الفصل السادس: *تفاهم*.

وكأن المشهد الآن بالتصوير البطيء، يسير (أحمد) مُبتعدًا عن الجَميع، مطأطئ الرأس، خائب الآمال، مُتجولًا حول حمام السباحة مُرسلًا ناظريه إليه، يُفكر مليًّا بما عليه أن يَفعل تجاه أصحاب الفُندق الملاعين، يود أن يَسحقهم بقدمه لأنهم أضاعوا فرصته الثانية للحياة التي كان يَرجوها أن تعود.
صوت (عبد الله) يدق طبول أذنه وقلبه، فلم يَعطِ له اكتراثًا، اعتدل في مشيته ونَظر إلى حمام السباحة طويلًا، ثم سَمع صوت أحدهم يَقفز في الماء، نظر إلى المنطقة الأخرى من حمام السباحة، فوجد زوجته (رحمة) تَقفز بداخله، رآها فعرف أنه يُخرف ويهذي، فنظر إليها.. ثم خذلته عيناه وذرف دمعة على الرغم منه، كان يتذكر ذلك المشهد بالضبط عندما كانا سويًّا بشهر عسلهما.
أرسل ناظريه إليها، فنظرت هي إليه وهي تقول:

- هيا يا أحمد..

وعلى وجهها ابتسامة فَرحة، فراح هو يَمد بصره إليها وهي تبتسم أكثر، كانت تغوص في الماء، لم يتغير المشهد أبدًا ولن ينساه.. لم يتغير وجهها أبدًا وسيظل محفورًا بذهنه إلى أن يذهب إليها.. سمع صوتًا ما من ورائه يُنادي عليه:

- أحمد.

كان الصوت أنثويًّا، نَظر فوجدها (صفية)، سُرعان ما مسح دموعه التي ذُرفت وقال لها:

- نعم يا صفية..

مُحيت الابتسامة عن وجهها وهي تقول:

- أتبكي؟
- لا.. لا

فَضحته عيناه بتلك الدموع، ثم نَظرت إليه متجاهلة ما قالته كي لا تؤلمه:

- هل لديك فكرة عما سنفعله؟

مَسح دموعه جيدًا، ثم مَضيا سويًا إلى غرفة (عبدالله) فأجابها بعدما وصلا:

- يُستحسن أن تُقال الفكرة عندما نَتجمع كُلنا.

كان (عبدالله) قد أغشي عليه بسبب كَثْرة الحُزن والألم، نَظر (صلاح) إلى (أحمد) وقال:

- لم يَتحمل الذي حدث له..

نَظر (أحمد) إليهم جميعًا بلا استثناء أحد، وقال:

- لو حوّلنا ذلك الفندق إلى حظيرة تَرفض الحيوانات أن تعيش بها.. سيَرد علينا أحدٌما وسننتقم منه.

ثم قال (صلاح) بتعجب:

- ما يَشغل بالي يا (أحمد) هو أنهم انتقموا من (عبدالله) ولم ينتقموا منك أنت! رَغم أنك أنت من قتلت الرجل وليس هو!
- راودني ذلك السؤال..لكني لم أجد له أيّ إجابة!

ترامى التهامس بينهم، فقال (أحمد) بَحسم:

- أنا سأذهب الآن.. وسأحاول أن أفعل كما قُلت لكم.. من يود الذهاب معي فليتبعني.. ومن يود الاختباء فليختبئ الآن.

ذهب (أحمد) بعدما خَرج إلى الغُرفة، واتجه ناحية صالة الاستقبال الواسعة، فوجد أن الجميع يتبعه باستثناء (عبدالله)، فقال:

- هكذا.. نستطيع الانتصار عليهم.

نَظر إليهم (أحمد) بعمق، وعيناه تحملان الكثير من الغضب، فقال:

- سَنحطم كُل شيء، سنُقلب الفندق رأسًا على عقب، لن يكون هُناك شيء سليم، سيصبح هذا الفندق حظيرة مليئة بالقاذورات.

ثم قالت (سماح) بتردد:

- يا (أحمد)، إنهم لم يَردوا علينا عندما قتلنا إنسانًا من لحمٍ ودم، هل سيردون علينا عندما نُحوّل ذلك الفندق إلى حظيرة؟

تحولت عينا (أحمد) من غضبٍ بالغ إلى حُزن بالغ، فأردف:

- إنهم يبيعون الإنسان.. لا يهتمون به، لقد قطعوا لسانه بلامبالاة مُتناهية، لكن عندما نأتي على الشيء الذين دفعوا فيه أموالًا كثيرة بالتأكيد سيردون.. إن الإنسان عندهم كالحيوان بالضبط.

سَكت الجميع، ثم دار (أحمد) حَولهم، بخطوات غير ثابتة على موقفها قال:

- أنا سأفعل.. سأفعلها حتى لو كُنت وحدي.. هل أنتم معي؟

ثم لم ينبس أحدهم ببنت شفة، أنزل (صلاح) رأسه أرضًا وأخذ يعبث في الأرض بنظره، و(صفية) تنظر إلى (أحمد) تحاول أن تُثنيهعن قراره الذي اتخذه، و(سماح) تَنظر إليه متوسلة بنظرها كصفية.. لكنه لم يَستجب.. بل سَمع صوتًا يأتي من خلفه يقول بشجاعة:

- أنا معك.

نَظر (أحمد) إلى الوراء، فوجده (عبدالله) والدموع باقية.. تاركة أثرًا على وجهه وعلى قلبه، نَظر إليه (صلاح) في غضب:

- أولم تكتفِ؟ لقد قتلوا أمك! في المرة القادمة سيقتلونك أنت!

ثم نَظر (عبدالله) إليه، كفكف دموعه بيديه، بنظرة تحولت إلى غضب شديد وقوة لا نهاية لها:

- لقد قتلوني بالفعل!

تَقدم (أحمد) و(عبدالله) سويًّا، فَربت (أحمد) على كَتفه مُهدئًا، فما كان من (عبدالله) إلا أن نظر إليه ولم يتكلم، بل نَظر إليه نَظرة تَحمل الكثير من المعان، لم يَتكلم (أحمد) هو الآخر مراعاة لشعور (عبدالله)، اقتربا من المقاعد الزُجاجية، فقال (أحمد) لـ(عبدالله):

- أنبدأ؟

فَرد عليه مُسرعًا:

- نبدأ.

فرفع (أحمد) المقعد بيديه، فابتعد (عبدالله) بخطوات بسيطة، ثم ترك المقعد يَقع على الأرض، فيتحطم لكن ليس بشكل كبير، ففهم أن زجاج المقاعد نوعه قويّ للغاية وليس سهلًا أن يتحطم، لكنه لم ييأس، فقال لـ(عبد الله):

- اتجه نَحو النجفة الكبيرة، واعبث بها كما تشاء.

فنظر (عبد الله) إليه، وكالعسكريّ في الجيش، أومأ برأسه ثم اتجه ناحية النجفة الكبيرة بوسط صالة الاستقبال، أخذ مقعدًا من المقاعد الزجاجية، فرفعه بيديه

وعيناه تحملان شررًا كبيرًا لم يَكن موجودًا عند (عبد الله) من قبل، ألقى المقعد ناحية النجفة الكبيرة، فسقط المقعد مُنكسرًا بشدة والزجاج يتناثر في كُل أرجاء المكان، وسقط زجاج النجفة بالكامل.. نَظر إلى (أحمد) فوجد أنه كَسر مقعدين بالكامل.. ابتسم (عبد الله) ابتسامة شيطانية.. والآخرون واقفون مُتفرجين بصمت.. فانطلق صوت أحدهم يَهز أرجاء المكان..

- ما مطالبكم؟!

نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) بفرحة باغتته من حيث لا يَدري، وهَلل (أحمد) بشدة لكن دون أن يُخرج أيّ صوت، لكن الفرحة كانت تجتاحهما هما الاثنين، نَظر (صلاح) إلى (سماح) فوجد ابتسامة ترتسم عليها وصفية كذلك، فَرحة أتتهم عندما رَد ذلك الصوت عليهم! ثم تكلم (أحمد) بقوة:

- نُريد أن يأتي إلينا أحدكم الآن ويُفهمنا كُل شيء، لقد أتيت هذا الفندق اللعين كي أخترع جهازًا كالذي اخترعتُه لزوجتي، وأم صديقي قُتلت من قِبل أحدكم، إننا نعيش في سجنٍ كبير، لكن لا فرق بينه وبين السجن الصغير!

ولوهلة تَشعر أن الصوت ابتسم ابتسامة هازئة، ثم قال:

- في الصباح الباكر..

تَجهم وجه (أحمد)، فأخذ مقعدًا من الأرض ورفعه إلى أعلى فثبت على تلك الوضعية، ثم أردف:

- الآن...

فسكت الصوت تمامًا، فقال (صلاح) لـ(أحمد):

- ما الذي يتوجب علينا فعله الآن؟

نَظر إليه (أحمد) واشتدّ الغيظ في وجهه فقال:

- فلتصمت الآن وللأبد!

طأطأ (صلاح) وجهه في خَجل لأنه لم يَكن معهم من البداية، فأتى صوت الباب يُفتح لمدة ثانيتين وانغلق مرة أخرى، نَظر (أحمد) إلى الباب مُسرعًا لأنه أقربهم إليه، فوجدوا (سامر أبو العينين) يتقدم:

- وها أنا قد أتيت إليكم..

لم تتغير تلك الابتسامة العاهرة التي ارتسمت على وجهه، وَضع (أحمد) الكُرسي كما كان، كانت المسافة بينه وبينهم تقريبًا عشرة أمتار، اتسعت ابتسامة (سامر)، فنظر إليه الجميع بنفاد صبر وكأنهم سيقتلونه، لكن سرعان ما اشتم الجميع رائحة جميلة، رائحة لم يستطع أحد وصفها، شَمها الجميع بلا استثناء.
وراح كُل شيء يَترنح من حولهم فجأة، ثم سَقط الجميع فجأة دون سابق إنذار..
وآخر ما رأته (سماح) هُم عشرة أشخاص يدخلون من البوابة..
واختفى الضوء.. بغتة.

* * *

ظـلام.. ظـلام.. ظـلام..
اقتحم الظلام أعينهم دون حَرج، فما لبث أن استيقظ (أحمد)، وَجد الآخرين متناثرين من حوله على الأرض نائمين كالموتى، ارتعب (أحمد) من ذلك المنظر، كاد أن يَنفجر عقله من كَثرة تشتت تفكيره، قام من المكان ببطء شديد ورأى ما حوله، الصالة كما هي، كما كانت بالبداية، لم يحدث لها أيّ شيء، سأل نفسه "*أين ذلك الزجاج المتناثر؟ زجاج المقعد الزجاجي الذي حَطمته بيدي تلك*!"، ضوء الشمس أزاغ عيني (أحمد)، فبدأت الرؤية تقل وضوحًا شيئًا فشيئًا، لكنه سرعان ما وجد دماء على الأرض! دماء شخص ما..
نَظر إلى الأرض في خوف، ازدرد ريقًا جافًا، والرؤية تقل وضوحًا أكثر فأكثر، لكنه شك أن الشمس هي سبب ما هو فيه، وجد خَطًّا مستقيمًا رفيعًا من الدماء على الأرض ويصل إلى غُرفة ما بابها قارب على الانغلاق.
بدأ القلق ينتاب (أحمد) فسار مع خط الدماء بقلق شديد وواضح، وَصل إلى نهاية الخط وعند الباب، فَتحه ببطء شديد وزمجر الباب، لم يستطع (أحمد) أن يُحدد ملامح الغرفة لأنه لم يرَها، بل خطابًا أبيض موضوعًا على طاولة زجاجية طويلة، والضوء مُركز عليها فقط، اقترب (أحمد) من الطاولة.. ثم مَدّ يده كي يلتقط الخطاب.. فَتحه ببطء كما هي عادته، أخرج الورقة.. فوجد الوجه الأول من الورقة مليئًا بالدماء، فزعت عينا (أحمد)، فهو يستطع تمييز لون الدماء بسهولة، وفي الوجه الآخر من الورقة كُتب بخط عريض بقلم لونه أزرق:

" *إنها لك*"

* * *

ها قد بدأت الرؤية تتضح قليلًا، ثم بدأوا يُفتحون أعينهم واحدًا تلو الآخر، فبدأت يدا(عبد الله) تجوسان بوجهه ليطمئن أنه سليم، نَظر الجميع إلى بعضهم فقالت (سماح):

- كم لبثنا هُنا..

فأتاها الجواب من (صلاح) على الفور:

- ربما ساعةً أو ساعتين..

فتقدم (أحمد) أمامهم، تَشبثوا بأماكنهم ولم يتَحرك أحدهم، قد تشعر أن وجهه تَبدل، لم يَمتّ (أحمد) الحزين على ماضيه لما هو عليه الآن بصلة أبدًا، لقد كان قويًّا، عيناه مُتصلبتان تَدلّان على شخصية قوية قتلها الماضي، نَظر إليهم جميعًا وقال بقوة:

- تلك الشركة، ذلك المكان، قد أتينا فيه لسبب.. تلك الشركة بعثت لي رسالة وقالت لي أنها تُريد أن أقوم بصنع عدد من الجهاز الذي اخترعته و..
- وما الجهاز الذي اخترعته؟

قال (أحمد) بنبرة حُزن:

- هذا الجهاز يُتيح لي بأن أسمع صوت زوجتي في أيّ وقت أكون حزينًا به، مثلًا أنا أشعر بالتعس، يأتيني صوت الهاتف فأجيب ثم أسمع صوت زوجتي تُهدئني وتُفرحني..
- ولكن الهاتف يستطيع فعل ذلك بمنتهى السهولة؟!

قالها (صلاح) بثقة، فأجابه (أحمد) بغرور:

- إن الهاتف لا يستطيع أن يجعل امرأتي التي قد ماتت تتصل بي وقتما أحزن! وأسمع صوت ابني نور! أظن أنه من الصعب أن يفعل الهاتف هذا! لكن ليس هذا موضوعنا.. لقد أتينا لسبب.. وبالتأكيد لم يأتِ أحدكم ذلك المكان وهو مُرغم على الإتيان إليه، لا أودّ معرفة سبب مجيء كُل واحد، لكننى واثق تمام الثقة، أن كُل شخص أتى لسبب مُختلف عن الآخر.. وأظن أن لهذا سببًا واضحًا.. لكننا لا نراه.

نَظر (عبد الله) إليهم جميعًا، بلا مبالاة قال:

- اعذروني على تَدخلي.. لكنني أشعر بالجوع حقًا ولا أستطيع أن أفكر إلا عندما أغذي بطني.

تَجهم وجه (أحمد) من جراء ما سمعه، فقرر أن يهدأ لأنه لا يوجد وقت للغضب، قام (صلاح) فقامت (سماح) معه، فعقد (أحمد) حاجبيه وهو يقول:

- إلى أين أنتما ذاهبان؟ هل ستتركان ذلك الحديث وتذهبان؟

فقال (صلاح) دون أن ينظر إليه:

- أود الذهاب لحمام السباحة، أشعر بالشمس تغتصب جسدي.

ابتلع (أحمد) ريقه، فلم يَجب على (صلاح) ولن يَفعل، اتجه (صلاح) ناحية الغُرف، وظل (أحمد) واقفًا مُتجهم الوجه، فلم يبقَ معه سوى (صفية) و(عبد الله)، قام (عبد الله) من مكانه، وقال لأحمد:

- اعذرني يا صديقي.. فأشعر ببطني تُزمجر.

ابتسم (أحمد) ابتسامة حَسرة على ما هو به، فأومأ برأسه، ذَهب (عبد الله) بخطوات بطيئة نَحو غُرفته، فلم يتبقَّ إلا (صفية) و(أحمد) معها، لم يَنظر إليها (أحمد) فتكلمت هي:

- أتعلم يا (أحمد) أنني اشتقت لأمي للغاية..

نَظر إليها (أحمد) بغضب، فخافت هي وبدأت ملامح وجهها بالتقلص، أخذت أنفاس (أحمد) تعلو.. أغمض عينيه وهو يفكر بشيء ما، إنه يعرف أن ثمة شيء ما يحدث، هُناك شيء غريب يحدث!
تقطبتملامح وجهه، ثم سار وتَرك (صفية) جالسة على الأرض كما هي..
خَرج إليهم، فوجد (سماح) و(صلاح) يسبحان في الماء ويضحكان! رَغم كُل ما حدث بهم.. يضحكان!
ورأى (عبد الله) يأكل أمامه على الأريكة، لقد صنع له الأكل الجهاز الآلي (روبت) لأن عندما قَتل (أحمد) مُصطحب الطعام لم يأت لهم الطعام أبدًا..
ظل واقفًا، وعلامات التعجب تَرتسم على وجهه..
حقًا!

* * *

بدأت العصافير تشدو، وبدأت السيارات تَدهس الشوارع بلا رحمة، وبدأ كُل شيء ينطلق..
أزال الظلام ستائره، فبدأت عيناه تنفتحان رويدًا رويدًا، وبدأ يرى كُل شيء، استيقظ أخيرًا من نومه بعد أكثر من سبع عشرة ساعة نومًا هنيئًا، تثاءب في كَسل، ثم قام من سريره بخطوات هرِمة، اتجه نحو الشباك ففتح ستارته، رأى البشر يسيرون ووجههم يمقت الحياة ويمقت كُل شيء، رأى الناس ينظرون لمن يحلق بالأعلى بواسطة حذائه الطائر، الناس تنظر إليهم ويبتسمون في رضا، ثم يرحلون..
تَنفس نفسًا عميقًا، ثم خرج من غرفته وعيناه مُحملتان بهمٍ كبير، فاتجه ناحية الحمام، دخل الحمام وأشعل المياه لتخرج من الصنبور سالمة غانمة، يَغسل وجهه حتى اكتفى.. ثم بدأ يتأمل قسمات وجهه الذي دهس عليه الزمن مرارًا.. شعره القصير، عينان تَدلان على رؤية الكثير من المصائب والكَرب بتلك الحياة اللعينة، عينان محملتان بحزن دفين لا يعرف أحدًا مصدره، لحية كبيرة تدل على عدم اهتمامه بنفسه..
خَرج من الحمام فاتجه نحو غُرفة أخيه الأصغر (عبدالعزيز)، رآه نائمًا كملك بريء حقًا، اتجه نحو ولثم جبينه بقبلة حانية.. لقد أصبحا وحيدين بعد وفاة أمهما.. ربت على كتفيه بحنانوذهب.. ولكن قبل أن يذهب.. رأى صورة أخيه الأكبر (عبد الله) معهما يتوسط الصورة، كان أخوه (عبدالعزيز) على الجانب الأيمن من الصورة، وهو على الجانب الأيسر، ابتسامة يومًا ما كانت على وجوههم، ابتسامة كانت جُزءًا من حياتهم، رَغم أن (عبد الله) كان مُكتئبًا دومًا لا يخرج من غرفته، لكنه يشعر أن جُزءًا ما منه قد انقطع، رُكن خاص به قد انكسر، ظهره قد اختفى.. انقطعت ذكرياته وتفكيره عندما سقطت دمعة بالرغم عنه، فردد في حسرة:

- يا عبدالله.. أين أنت؟

* * *

استيقظ (عبد الله) مُضطربًا، خائفًا، هناك شيء ما حدث.. أو يحدث!
استيقظ على صوت باب غُرفته ينغلق، لكن كان الصوت خفيضًا جدًا ولا يعلم كيف سمعه! تجولت عيناه بالمكان بسرعة، فشعر برائحة غريبة في المكان، رائحة شيء قد شمه من قبل.. امتقع لونه، فتذكر تلك الرائحة.. لقد كانت رائحة دماء!
إنها تلك الرائحة التي اشتمها منذ قريب! اشتمها عندما قتلوا مُصطحب الطعام

في تلك الغرفة، بدا عليه الخوف، وبدأ قلبه يدق بشدة، بسبب الظلام الحالك، لم يرَ أيّ شيء، ثم قام من السرير بخوف..
خَفض قدميه فلامستا الأرض، شعر بأن هُناك سائلًا ما يضغط عليه بقدميه، بدأ خوفه يزداد أكثر! قام من مكانه غير مبال بذلك السائل، اتجه ناحية الحائط فأضاء الأنوار بعد دقائق من التفتيش عن موصل الضوء، وياليته لم يضئه!
لقد رأى دماء متناثرة في المكان، دماء في كُل مكان، لكن ليست بكميات كبيرة، كانت متمثلة في قطرة أو قطرتين من دماء أحدهم، لكن أمام سريره هُناك الكثير من الدم يتمثل في خط طويل يتجه نحو باب الغرفة الخاص به، ازدرد ريقًا جافًا بخوف، وأخذ نفسًا عميقًا وأخرجه ببطء، قلبه لا يرحمه، يظل يدق ويدق بشدة.
سار مع خط الدماء، فَتح الباب ومَضى بخوف.. كأنه يريد أن يرجع، وكأنه لا يريد أن يذهب لكي لا يرى ما يحدث هناك، أو ما ينتظره! التوتر والخوف هما سيدا اللعبة الآن، لذلك فهو لن يستسلم لهما،ثم سار..
وجد أن خط الدماء ينتهي عند صالة الاستقبال الواسعة، فقرر أن يَمضي دون اكتراث، وما لبث أن رأى جثة شخص ما أمام الباب الذي حاول كَسره من قبل لكي يخرج ولم يستطع، امتقع لونه، واحتدم الخوف بوجهه أكثر وأكثر، فتقدم نَحو الجُثة وهو يشعر بشيء غريب بداخله، شيء لم يشعر به قط!
خطواته كانت متثاقلة، مترددة، يودّ الرجوع قبل أن يرى مَن هذا الشخص المقتول أمامه، لكنه يعرفه، يعرف ذاك الشخص.. يعرف تلك الملابس، رآها من قبل، بدأت أنفاسه تزداد، وعيناه معلقتان على الجثة تلك.. رآها هائمة على وجهها، قد احتل مكان الخوف شيء آخر لا يعرفه!
وَقف أمام الجثة، لم يرَ الوجه بعده لكي يحدد لمن هذه الملابس، لَمس الملابس وبدأ يُحرك الجثة يمينًا ويسارًا فلم تتحرك، بقوة أكثر حركها فتحركت.. ليته ما حركها!
صَرخ (عبد الله) صَرخة اهتز من أجلها المكان، لكنها لم تكن صرخة لأنه ارتعب، بل صرخة ألم!
بدأ يصرخ ولا تهدأ صرخاته، بدأت الدموع تنهال من عينيه وكأنها مطر، وَضع يديه على وجه أخيه الأصغر منه (سعيد) وبدأ يتحسس وجهه الذي لن يراه مرة أخرى، جَثا على ركبتيه، ثم احتضنه وهو يبكي، آهاته تحمل ألمًا حقيقيًا، لقد مات أخوه! مات من كان يُفكر به ليلًا ونهارًا، مات من كان يُفكر في ليلة زواجه، مات من كان يتخيل أنه سيرى يومًاابنه أو ابنته.. لقد مات أخوه!
لقد مات كُل شيء جيد، مات كُلّ شيء كان يعيش لأجله، نَظر إلى وجه أخيه، والدموع تتساقط على وجهه، أخذ يصرخ باسمه، يستنجده أن يستفيق مرة أخرى

ويعود! لكن بلا جدوى.. ثم عانقه (عبد الله).. لآخر مرة في حياته!

* * *

- ما بك يا (سعيد)؟

نَطقها (عبدالعزيز)، أمامه كان أخوه الأكبر (سعيد)،وهم جالسون على طاولة الطعام يتناولون الإفطار، طعمية وطماطم وبيضًا مقليًّا وفول، نَظر (سعيد) إليه، ولاحت أمارات التوتر بوجهه:

- لا شيء يَشغل بالي أكثر من أخيك.. لا أعلم أين ذهب، اختفى دون كلام ولا سلام، لا شيء يشغل بالي أكثر منه.

نَظر إليه (عبدالعزيز) في حُزن وصمت تام، فاستطرد:

- هل تعلم يا (عبدالعزيز)! أخوك دومًا كان أحن عليّ من والدي، ذات يوم عندما كُنت في سنك، خمسة عشر عامًا تقريبًا، كان أبي قد خرج من العمل بسبب تخطيه الستين عامًا، فلم يكن يمتلك أية أموال، أو بمعنى أدق، الأموال التي يمتلكها كانت تقضي حاجتنا فقط، كالطعام والشراب والملابس فقط، لا شيء آخر..

ابتسم (سعيد) في حسرة، فأكمل:

- كُنا أنا و(عبد الله) وأبي نسير، نشتري أشياء من السوق لأمي، فجأة، وجدت التفاح أمامي، وكما تعلم، فأنا عاشقٌ للتفاح، توقفت عن السير وأخذت أنظر للتفاح مليًّا، وَضعت يدي في جيبي، فلم أجد إلا مئة جنيه، وبالطبع المئة جنيه وقتها وإلى الآن لا تَشتري سوى أشياء بخسة، كنت أخاف أن أقول لأبي فيحزن، لأنه لا يمتلك نقودًا فيضطر أن لا يشتري لأمي شيئًا من أشياءها ويشتري لي التفاح، نَظر (عبد الله) إليّ فوجدني أنظر للتفاح.. تمتم لأبي بكلمات لم أسمعها، ذهب أبي واقترب مني هو، بل اقترب من محل الفواكه، ثم قال للرجل: بكم التفاح يا عم؟

ذرف (سعيد) دمعة، ولازالت الابتسامة ترتسم على وجهه، فاستطرد مرة أخرى:

- ها قد مات أبي، وها قد ماتت أمي، وها قد اختفى أخي.. لم يتبقَّ لي سوى نفسي.. وسواك!

ذرف (عبدالعزيز) دموعًا لا تُحصى، ثم نَظر لأخيه الأكبر وجده يبكي كما لم يبكِ من قبل، ثم قال:

- يا أخي، لم أرك تُذرف دموعًا قط!

فقال له بحسرة وحُزن:

- مهما كانت درجة تحمل الإنسان يا أخي، سيأتي عليه يوم وسيبكي.. سيبكي بالرغم منه، وها أنا أبكي، أبكي لأن البكاء هو الشيء الوحيد الذي سيخفف عني كُل شيء!

ثم مَسح دموعه، وعَدل من نظرته تجاه أخيه، فابتسم:

- لم أكن ضعيفًا، إلا في تلك اللحظات يا أخي، لأول مرة في حياتي أشعر بأني ضعيف، بدون ظهرٍ يحميني أو يقيني من شرور نفسي!

كانت لحظات صافية بحق، شعر بأن هَمًّا من قلبه قد مُحيَ بعدما حَكى لأخيه وبعدما أفرغت عيناه دموعها، قام من مكانه ثم رفع الأطباق واتجه بها ناحية المطبخ.. وضعها فرأى أخاه أمامه، ابتسم وقال له:

- هل تعلم ما يقلقني؟! هو أن يعود (عبد الله) ويسألني كيف حال أمي؟

* * *

تَمنى لو كان يَحلم، تَمنى لو استفاق من نومه فيجد نفسه في بيته وسط أحبابه، تَمنى لو فَتح (سعيد) عينيه الآن!
لكنها أحلام لن تُستجاب!
أخذ يعانقه بشدة، حتى شعر بأن جسد أخيه قُارب على الانكسار، شَعر بأن كُل شيء قد ذهب في ثانية، ذهب مُنذ أن وافق لدخول ذاك المكان اللعين الذي تسبب في خسارته لكل شيء، حياته، حياة أمه، حياة أخيه..
كُل شيء قد ذَهب، ذهب ولن يعود البتة، أخذ يَجوّل بنظراته بين قسمات وجه أخيه، ثم اقترب منه أكثر ولَثم قبلة أخرى على رأسه..
سَمع صوت خطوات أحدهم، رفع عينيه عن وجه أخيه، ليرى شخصًا ما يَرتدي حُلة سوداء، يقترب منه.. لكنه لا يَرى وجهه بسبب بعد المسافة، يعرف ذلك الوجه جيدًا، يتقدم بخطوات ثاقبة.. فإذا به يَقف أمام (عبد الله)، ويتحدث بتلك الابتسامة:

- مساء الخير يا (عبد الله)

- قَد لا تَراني، قَد تسمع صوت همهمات، وأنا لا أريد منك سوى أن تسترخي.. ستفهم كُل شيء، ستفهم لِمَ فعلنا بك هكذا، أريد منك أن تُمدد بجانب جُثة أخيك، وتَستمع إلى كُل شيء...

كانت الرؤية غير واضحة، يرى شخصًا واقفًا أمامه لكنه لا يستطيع تمييز من هو، شَعر بأن الرؤية ستنعدم، أغمض عينيه كثيرًا لكي يرى مَن أمامه، لكن الرؤية كما هي لازالت مضمحلة، اتسعت ابتسامة (سامر) أكثر فأكثر، ثم بدأ يَقص عليه..
كُل شيء!

* * *

وسُرعان ما استيقظ (سعيد) من نومه، فَتح عينيه في ذُعر، فسمع صوت الباب ينغلق ببطء شديد، ولا يعلم كَيف سمع صوت الباب! صوتًا كاد أن لا يُسمع، لا يعلم كيف سمعه واستيقظ على إثره!
بالتأكيد هو (عبدالعزيز)، دَخل الغرفة كي يطمئن عليه، لكن راودته بضعة أسئلة! (عبدالعزيز) لا يتحرك أثناء نومه وكأنه ميت، لا يتحرك تمامًا! ينام ومن الصعب أن يوقَظ بسهولة، كيف استيقظ وهو نائم متأخرًا، هل من الممكن أنه لم ينم وظل مُتيقظًا لذلك الوقت! سأل نفسه هذا السؤال.. من الممكن أن تكون الإجابة نعم!
قام من السرير بنشاط على غير العادة، ليس نشاطًا، بل فضولًا للمعرفة، خَرج من غُرفته، ثم اتجه بخطوات متثاقلة إلى غُرفة أخيه، فَتح الباب.. فوجد أخاه نائمًا!
ابتلع ريقه، فأخذ صدره يعلو ويهبط في خوف، هُناك من اقتحم الشقة أثناء نومه..
تَرك باب غُرفة أخيه مفتوحًا، اتجه نحو باب الشقة بهلع، فوجد على مدى البصر ورقة بيضاء، ورقة متواجدة على الأريكة المفضلة له في صالة شقته، اقترب من الأريكة، ثم تلقى الورقة ببطء شديد وخوف كبير، كانت مطوية ففردها..
قرأها ببطء وتمعن، غارقًا في سطورها وكلماتها!

* * *

في تمام الساعة الثامنة صباحًا.. كان (سعيد) واقفًا أمام الفندق الفخم، الكبير، لم يعرف يومًا أنه سيدخل ذلك الفندق، لم يعرف يومًا أن أخاه يعيش بذلك الفندق،

كان يمرّ من جانبه كثيرًا، لكن دون أن ينظر إليه، لأنه يعرف أن تلك الحياة ستكون محرمة عليه وعلى أخيه..
ظل واقفًا كثيرًا، فطالته الشمس وأخذت تغتصب عينيه، لكنه لا يبالي، فقط يُفكر في أخيه الأكبر الذي سيراه أخيرًا بعد مدة طويلة! كم كان يتمنى أن يأتي بأخيه الأصغر معه، لكنهم في الخطاب قالوا له (أنت وحدك)، فينبغي عليه أن يسير على إرشاداتهم وقوانينهم كي يرى أخاه..
تَوقف أمام بوابة الفندق الزجاجية الطويلة، فرأى من الزجاج صالة واسعة، صالة الاستقبال، ابتسم بفرحة لم يعرفها قط، رأى شخصًا ما يَرتدي حُلة سوداء، أصلع الرأس، مُتصلب الملامح، وعلى وجهه نظارة طبية، ابتسم له الرجل، ثم وَقف بجوار الباب ليضغط على زرّ ما، فينفتح الباب لسعيد، ظَل (سعيد) مُحتفظًا بابتسامته، رغم ابتسامة الرجل لكنه يشعر بشيء غريب نحوه، مَد الرجل يده نحو (سعيد)، فمد (سعيد) يده وتبادلا التحية، أردف الرجل بتلك الابتسامة المريبة:

- سامر أبو العينين.. رئيس الشركة التي يعمل بها أخوك (عبد الله).

ازدادت ابتسامة (سعيد) ودًّا، وقال له:

- أتمنى أن يكون أخي بخير.. لقد اشتقت إليه.

ثم سار (سامر) و(سعيد) خلفه دون اكتراث، فقال دون أن يَنظر إليه:

- وهو أيضًا اشتاق إليك.. ولأخيك (عبدالعزيز).

انغلق الباب الزجاجيّ عندما خطا (سامر) أولى خطواته، وأكمل سيره دون أن ينبس ببنت شفة، أخذ قلب (سعيد) يخفق بشدة، لكنه يهوّن على نفسه، سيرى أخاه أخيرًا! هذا ما تمناه منذ وَقت كبير، كان يَنظر لكل شيء بذلك الفندق، وملامح وجهه بها أسمى علامات الدهشة والفرحة، كانت ابتسامته تزداد من حين إلى حين.. فَرح لأن أخاه يعيش هُنا ويُرفّه عن نفسه بعد العذاب الذي تلقاه، لم يحزن قط لأن أخاه تركهم وعاش هُنا في تلك الجنة الصغيرة.. لكنه فرح له!
توقف (سامر) أمام باب، ثم قال لسعيد:

- ينتظرك بالداخل.

ابتسم له (سامر)، فارتفع مُعدل التوتر والخوف عند (سعيد) قليلًا، انفتح الباب.. ثم دَخل (سعيد) بخطوات مُترددة تودّ الرجوع، لأنه يعلم أن من ينتظره بالداخل ليس أخاه.. بل شيئًاآخر!

نَظر أمامه ليجد شخصين واقفين بداخل الغرفة، على وجهيهما ابتسامة كبيرة، مد أحدهم يده لسعيد، ويده الأخرى كانت وراء ظهره، شعر (سعيد) بشيء ما يحدث وسيحدث! لم يتكلم، لم ينطق، بل مدّ يده لكي يلقي التحية، هُنا تحول وجه الرجل الآخر، من وجه مُبتسم إلى وجه مُتجهم، حدج وجه (سعيد) بنظرة مُريبة فارتاب من أجلها، أرجع الرجل يده كما كانت، كانت تحمل سكينًا صغيرًا، اقترب منه وطعنه في بطنه، نَظر إليه (سعيد) نظرة واهنة، ضعيفة، تحمل الكثير من الأسى، نَزلت الدماء من بطنه بغزارة، ثم أتت الطعنة الثانية أقوى من الأولى.. هُنا لم يتحمل (سعيد) فتأوه آهة تَدل على الألم.. لم يكن يعرف أن ذلك سيكون مثواه، جَثا على ركبتيه في ضعف، فتكلم ببطء وبصوت واهن:

- جِئت فقط..

وقاطعته الآهة الثانية، ألم لا يتحمله أيّ بشريّ، فأكمل بصوت متقطع ومتهدج:

- كي أرى أخي.

لم يَظهر على وجهي القاتليْن أيّ شيء، بل كانا واقفين دون أدنى مشاعر، ينظران لبعضيهما ويتذكران ما الخطوة الآتية، وضعا شيئًا أشبه بكوب أمام (سعيد)، وقبل أيّ شيء، افترش (سعيد) الأرض دون كلمة، وَدّع أنفاسه، وَدّع حياته، وَدّع قلبه، لكنه لم يودّع أخاه الأصغر، لمن سيعيش والكل اختفى من حياته فجأة، أمه، أبوه، أخوه الأكبر فالكبير، كيف سيعيش؟ ثم قال لنفسه وهو يلومها :"لِمَ ذهبت دون أن أودعه؟، لِمَ لم ألثم رأسه بقبلة قبل أن أذهب؟ لِمَ أموت قبل أن أخبره أني سأموت؟"، يلوم لنفسه على شيء لم يفعله!
أرخى رقبته على الأرض، بل ارتخى كُل شيء.. توقف قلبه عن النبض، توقفت عيناه عن الرؤية، توقف الألم والعذاب وها قد أتيت الراحة الأبدية، لكن قبل الرحيل.. تَرك دمعة تسقط من عينيه..
دمعة تَدل على أن الألم لن ينتهى.. أبدًا

* * *

أسوأ شيء في تلك الدنيا أن تندم على شيء لم تفعله!
هذا كان حال (عبد الله) الآن، نادم.. متألم.. حزين.. باكٍ، صوت بكائه يَصم الآذان، كأنه طفل صغير قد فقد لعبته، حُزن شديد انتابه، نَظر إلى (سامر) المبتسم، لكن الرؤية كما كانت، هُناك شيء ما يحدث له، فأردف (سامر) بصوت واضح:

- فعلت كُل هذا لأجل أن تحيا شركتنا، لم توافق أن تكون مسالمًا كما كُنا مسالمين معكم في البداية.. لم أحزن ولو للحظة على ما اقترفه، فكُل هذا يَحدث لسبب.. ستعرفه عاجلًا أم آجلًا، لكنك ستعرفه..

ثم نَظر في عينيه اللاتي اغرورقتا بالدموع مباشرة، واستطرد:

- أما أمك، فكان يجب علينا فعل ما فعلناه نحوها، قتلناها دون أن يمسسها أيّ أحد، بل كُنا واقفين، وضعنا الكاميرا التي تنقل لك الحدث مباشرة أمامها، ووضعنا لها حبوبًا قاتلة في كوب العصير، وقُلنا لها أنها ستكون الرسالة الأخيرة لابنك.. صدقني يا (عبد الله)، لم يمسسها أحد! وإذا كان لمسها أحد كُنت قطعت يده..

فضحك بشدة، وتجهم وجه (عبد الله)، فأكمل كلامه:

- الآن.. انتهى دورك في لعبة الانتقام..

* * *

صوت حذاء يفرض سيطرته على المكان، كُرسي مُتحرك يَدهس الأرض دهسًا، يدفعه من الخلف شخص ما يفتقد لشعره، ضخم الجُثة، يرتدي ملابس سوداء، وعلى الكُرسي المتحرك (صلاح)، بلا حول ولا قوة، يَنظر ويشعر أن الدنيا تلتف من حوله، يداه مقيدتان بالكرسي وقدماه كذلك.

* * *

- وقد بدأ دور أحدهم..

* * *

يَقف الرجل بصحبة الكُرسي أمام غُرفة أحدهم، يَنظر (صلاح) إليه محاولًا تفهم ما يحدث، لكن لا شيء، وبلا جدوى.. يَفتح الرجل الباب.. فيدخل ومعه الكُرسي، فيصدر الباب زمجرة عالية..

* * *

- فلتشكرْني لأني لم أفعل بك كما سيَحدث الآن..

* * *

يَدخل الرجل ومعه (صلاح) إلى غُرفة (سماح) النائمة على سريرها بملابسها المثيرة، يدفع الرجل الكُرسي أمام السرير بالضبط، ثم تَرك

الكُرسي واتجه نحو (سماح) النائمة.. نظرة شخص قد أثيرت غريزته، وَقف يتأمل جسدها.. ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة، فألقى نفسه نحو (سماح).
بدأت الرؤية تتضح رويدًا رويدًا عند (صلاح)، رأى المشهد وليته ما رآه، لقد كان الرجل يغتصب حبيبته، انقبض قلبه وهو ينظر إليها وهي تصرخ فيه كي يقف عما يفعله..
لكن صراخها هدأ تمامًا، بل كانت ساكنة، حاول (صلاح) فهم ما يحدث، فقد كانت (سماح) مُستمتعة بما يفعله الرجل بها! لم تقاوم.. لم تفعل أيّ شيء سوى أنها سكتت تمامًا تنتظر قبلات الرجل بهدوء..
صرخ (صلاح) بقلب قد تَمزق نصفين وهو يرى المشهد، لم يصدق ولو لوهلة أن من يحدث بها ذلك الآن كانت زوجته في يوم من الأيام، لم تكن تعرف أن زوجها السابق أمامها الآن، كانت مغمضة العينين، مستمتعة..
لم يتوقع الرجل أن تكون مسالمة لتلك الدرجة! فبدا عليه الارتياح وهو يُقبل شفتيها، لم تبال لصرخات (صلاح) أبدًا، بل كانت تنتظر المزيد من الرجل..
حاول أن ينهض من الكُرسي مرارًا، لكن كُل محاولاته باءت بالفشل.
انتهى الرجل مما يفعله، فأخذت (سماح) تتحسس رأسه ببطء، قام الرجل من السرير ببطء وكأنه لا يود أن ينهض، ابتسم لسماح فبادلته الابتسامة، عَدّل ملابسه، واتجه نَحو (صلاح)، نظر (صلاح) إليه والغضب يملأ كيانه ووجهه، ابتسم له في غيظ واضح، فوضع يده خلف بنطاله ليخرج مُسدسًا، نَظرت (سماح) إلى الرجل برعب، نهضت من سريرها.. لكن سُرعان ما أخذ المسدس مرة أخرى، ووقف خلف (صلاح) وفك وثاق يديه، نَظر (صلاح) إلى (سماح) بوجه قد مات من الألم، تجهم وجهه بغضب، ثم قام الرجل وفك وثاق قدميه، لم ينهض (صلاح) من الكُرسي، بل ظلّ كما هو، أخذت أنفاس (سماح) تعلو في خوف، فوقف الرجل بينهما، ووجّه وجهه تجاه (صلاح)، أمسك بيده وفتحها ثم وضع المسدس بداخلها وأغلق يده مرة أخرى..
تركهما الرجل، ونظر للمرة الأخيرة للوضع النهائي، يقفان أمام بعضيهما.. و(صلاح) يمسك مُسدسًا بيده اليمنى..
ثم فتح الباب.. ورحل.

* * *

- أتظن أن دورك ودورهم انتهى هُنا؟ لا.. فدوركم لن ينتهي أبدًا.

ثم نَظر (سامر) إلى (عبد الله) بثقة وغرور، ومضى بعيدًا عنه.. إلى أن اختفى عن نظر (عبد الله).

* * *

- لِمَ؟

نطقها (صلاح)، نَظرت إليه (سماح) بخوف وقلق، لم يَعرف شيئًا سوى أنه سينتقم منها انتقامًا شديدًا، لا تعرف ما الذي ستقوله، عَلقت عيناها بعينيه، تُحاول أن تَبث بنفسها روح الشجاعة واللاقلق، لكنها لم تفلح!
أخذت نفسًا عميقًا، فأردفت:

- أنا آسفة..

وسقطت دمعة متمردة من عينيها، نَظر إليها (صلاح)، فوجه فوهة المسدس إلى قلبها، وهو يقول:

- أحببتك.. لكنك لم تُحبيني.. أكنت أحمق لتلك الدرجة عندما اخترتك لتكوني زوجتي؟ أكنت أحمق لتلك الدرجة عندما أحببتك؟

لم يتمالك نفسه، عَمّر المسدس ووضعه عند قلبها مرة أخرى، فأردف:

- هُنا.. وضعت قلبي.. لكنك لم تحافظي عليه..

نَظر إلى عينيها فوجدها تهمس:

- أنا آسفة.

لحظات مرت عليه كدهر كامل، رآها وهي تنظر إليه في أسف وخوف، اتسعت عيناه، ثم قال بضحكة هازئة:

- آسفة!!

وانهمرت الدموع من عينيها، فقال وقد سقطت دمعة بالرغم منه:

- هل من الممكن أن تقتلي شخصًا ثم تذهبي لجثته وتقولي له أرجوك عُد؟ هذا ما فعلتِه بالضبط..

تجددت دمعته بأخرى، فاستطرد:

- آسف لأني أحببتك في يوم ما، آسف لأني وضعت ثقتي بك..

سقطت دموعه ببطء، وصوت أنينه انطلق، قَرّب إصبعه من زناد المسدس، وقال:

- آسف على كُل شيء..

ونظر إليها النظرة الأخيرة، نظرت إليه أيضًا بحُبّ حقيقيّ، ثم.. ضغط الزناد..
مشاعر قُتلت، حياة قد دُفنت، حُبّ قد ابتلعه البحر..
وانطلقت الرصاصة تغزو أعماق قلبها، لم تؤلمها الرصاصة، بل آلمها أن موتها كان على يديه،نَظر إليها فاغرًا فاه.. لا يصدق ما يحدث، لا يصدق أنه هو من قتلها، اتسعت عيناه عندما نَظر إليها فوجد الدماء تغرقها، ترك المسدس يقع من يده، وسقطت (سماح)..
جَثا على ركبتيه مُسرعًا، وَضع يده على وجهها وأخذ يتحسسه، نَظرت إليه بابتسامة.. ثم سقطت دمعة عاصية من عينيها، فقال لها:

- أناآسف..

ابتسمت.. فوضعت يديها على وجهه لينغمر بالدماء، وهمست ببطء شديد:

- صـ..لـ..ا..ح

تعلقت عيناها بعينيه، ليهدأ قلبها عن الطنين.. وصوتها عن الهمس.. وليهدأ كُل شيء.. إلا صرخة شقت السكون من (صلاح).. نادمًا على ما اقترفت يداه.. وقلبه.

* * *

صوت البيانو يعلو، معزوفة رائعة بحق، يضغط (سامر) على البيانو فيكمل إنشاده، ارتسمت ابتسامة على وجهه، وأمامه ذلك الكأس الممتلئ إلى نصفه بالنبيذ ذي اللون الأحمر..
مشاعر وأحاسيس غريبة اجتاحته عندما انتهى من العزف، ثم رددت الغرفة صوت ضحكته الهازئة، أخذ الكأس وتَجرع رشفة منه، وضعه مكانه.. ولازالت ضحكته ترج المكان رجًا..
إن الجميع يسيرون على السيناريو الذي وَضعه بالضبط!

* * *

- ما الذي حَدث؟!

نَطقتها (صفية) بصوت عالٍ، عندما رأت (سماح) ملقاة على الأرض والدماء تتجمع حولها، و(صلاح) يحتضنها بلا حول ولا قوة، دموعه سقطت على وجهها الشاحب، لم يَنظر إلى (صفية) بل ردد بحُزن دون أن يُدير وجهه إليها:

- قَتلتها.

عَقدت (صفية) حاجبيها، فاستطرد:

- لم أستطع فعل أيّ شيء.. سوى أن أقتلها..

ثم لَثم رأسها بقبلة، وأخذ يُردد بجانب أذنها آسفًا:

- أنا آسف.. أنا آسف..

لم تعلم ما الذي ينبغى عليها أن تفعله، فسرعان ما ذهبت بخطوات متعثرة إلى (صلاح) وقالت له:

- رحمها الله يا (صلاح).. فلتدعْها تذهب بسلام كما جاءت بسلام.

رَفع رأسه نحوها وحدجها بنظرة غاضبة، ثم قال:

- لن أدعها تذهب وَحدها..

وَضع رأسها على الأرض وتركها، فقام مُسرعًا والألم يغزوه، أمسك المسدس من الأرض، فاستطرد:

- قتلتها دون تفكير، وسأقتل نفسي دون تفكير..

ووضع فوهة المُسدس بجانب رأسه.. وأطلقت (صفية) صرخة اهتز من أجلها المكان بأكمله.

* * *

نام (صلاح) بجوار زوجته السابقة، بعدما اختلج صدره بحُزنٍ لم يَرَ مثله قط، ولن يرى!
مدد بجوارها وظل يتحسس شعيرات رأسها الرقيق، دموعه لامست أعلى وجنتيها، حاول قَتل نفسه، بعدما ضغط على الزناد، لكنه وجده فارغًا، المُسدس لا يوجد به أيّ رصاص، تَركه جانبًا ومدد بجوار زوجته..
يَبتسم وهو يُقبل رأسها مرارًا.. رآه (أحمد) فأُحييت بداخله مشاعر قد ماتت.. مشاعر قد دُفنت في رِمال قلبه، نَظر إليه نَظرة تَدل على الكثير من المعاني،نَظر

(صلاح) إلى (أحمد) وهو يتهاوى وعلى حجره زوجته، ابتسم له والدموع مازالت تتساقط:

- مؤلم هذا.. أليس كذلك؟!

لم يَفهم (أحمد) ما يَرمي (صلاح) إليه، عَقد حاجبيه، فاستطرد (صلاح):

- مؤلم أن تترك أحدهم يَذهب دون أن تَمدّ يد العون إليه.. وأكثر ألمًا أن تُرغمه على الذهاب..

ابتسم له (أحمد) بخيبة أمل وهو يقول:

- أخيرًا، شعر بي أحدكم!

لَم يَتكلم (صلاح)، بل صَمت تمامًا كيوم اشتدت فيه الظلمة وأصبح صامتًا كالقبور، ثم نام (صلاح) بجانب (سماح).. نام نومًا عميقًا.. لم يَنم مثله قط!

* * *

الفصل السابع: *حقيقة*.

صَوت خَطوات تَخطو، أجواء مُرعبة، دماء أحاطت كُل جُزء به، وكأن كُل شيء يَحدث ببطء..
تَقدم (أحمد) نَحو (عبد الله) وعيناه فزعتان بحق لما حَدث.. خفق قلبه بشدة عندما رأى (عبد الله) أمامه يَحمل أخاه بين يديه، نَظر إليه (عبد الله) وعيناه لم تستطع تحديد من هذا الشخص، ارتعب.. لكن لم يستطع فعل أيّ شيء سوى أنه ظلّ مكانه، مُحدقًا في (أحمد) المُتقدم بخطوات بطيئة للغاية.. غَير مُصدق ما أمامه..
قال (أحمد) بهدوء شديد، لكن ما اختلج بصدره كان عكس ذلك تمامًا:

- ما هذا؟!

حاول (عبد الله) تَمييز الصوت، لم يعانِ.. عَرفه مُباشرةً، فتكلم، والدموع تتساقط على وجنتيه بسكون شديد:

- هذا.. إنه أخي.

لم يَفهم (أحمد).. أخوه!

- أخوك؟! كيف؟ مَتى!

لم يَنظر (عبد الله) إليه، بل نَظر إلى أخيه وأخذ يتحسس وجهه ببطء، فقال لأحمد بعدما تساقطت الدموع على وجه أخيه:

- كُل شيء حَدث بسرعة.. استيقظت.. وَجدت دماء في غُرفتي.. خَطّ دماء عريض يسير نَحو باب الفندق.. سِرت مع الخط - ثم رَبت على رأس أخيه - لأجده هُنا..

ذَهب (أحمد) إلى (عبد الله)، وَقف بجواره وأخذ يتأمل أخاه الميت، طأطأ رأسه وقال لـ(عبد الله):

- قُم معي..

دون أيّ مقاومة، قام (عبد الله) مع (أحمد)، شعر (أحمد) ببذل جُهد كبير منه، بسبب وَزن (عبد الله) الضخم، استند (عبد الله) على كَتف (أحمد)..
وسار دون أن يَنظر لأخيه النظرة الأخيرة.. وتَحولت نظراته الطيبة إلى نظرات مُرعبة، قاتلة..

مُنتقمة.

* * *

بعدما وَضع جُثة (سماح) بجوار جُثة (سعيد) أمام بوابة الفُندق..
مَرّ يومان على تلك الحادثة الكئيبة، و(أحمد) يُحاول قَدر المُستطاع أن يُخفف هَمّ(عبد الله) و(صلاح)، (عبد الله) تحول لوحش كاسر.. تحولت نظرات عينيه تلك.. إلى نظرات غريبة لم يرَها (أحمد) من قبل، كان جامدًا كالصخر، لم يتحرك ولم يفعل أيّ شيء عندما صَبّره (أحمد)، بل ظلّ صامتًا مُتيبسًا.
أما (صلاح) فكان هزيلًا، ضعيفًا، لم يَفعل أيّ شيء سوى بكائه على زوجته عندما وضعوها أمام بوابة الفُندق، ثم صَمت بعدها صمتًا طويل المَدى، لم يتكلم، بل أرسل ناظريه إلى (سماح)، وظلّت عيناه مُعلقتان هناك.
سار الجميع و(أحمد) يقودهم، بجواره (صفية)، نَظرت إليه نظرات غريبة.. نَظرات تَنمّ عن حُب كبير جدًّا، على وجهها ابتسامة خفيفة، وعينان لا تنظران إلا إليه.
كانت ملامح (أحمد) باردة، لكن كُل ما فكر فيه الانتقام من هؤلاء! هذا ما فعلوه مع (صلاح) و(عبد الله).. فماذا سيفعلون به وبـ(صفية)؟! هذا ماقاله بداخل نفسه.. نَظر إلى (صفية).. (صلاح) و(عبد الله) يسيران خلفهما، ابتسم لها كما ابتسمت له.. فمدّ إليها يده، فاحمرت وجنتاها خجلًا، لكنها سُرعان ما وَضعت يدها.. فأمسك (أحمد) يدها وعلى وجهه ابتسامة تَطرد كُل شيء كئيب حَدث.
دَخل (أحمد) غُرفته، ثم تبعه الجميع، جَلس على المقعد، فجلس الآخرون وراءه..
قال (أحمد) بعدما لانت ملامحه قليلًا:

- أعلم ما يدور بأنفسكم.. أعلم ما تودّون فعله.. أعلم كُل شيء.. لكن دعونا ننتظر أقرب فُرصة تأتي إلينا، نَضع الخطة، ثم نهجم بشدة عليهم.. صدقوني.. عندما نَتحد سنكون أقوى منـ...
- لا لن نكون أقوى منهم!

قالها (صلاح) بخيبة أمل، فردد (أحمد) وراءه بعزيمة وثقة:

- لا يا (صلاح)، أرجوك لا تدع للخوف والكسل مكانًا عندك.. أنت أقوى من ذلك، صدقني أنت أقوى من ذلك بكثير!

نَظر (صلاح) إلى الأرض، فاستطرد (أحمد) كلامه:

- هُناك سبب لمجيئنا، أنا مُهندس سابقًا، وكما عَلمت منكم، فـ(صفية)...

ثم أشار بيده تجاهها وهيّأ عينيه لهما:

- كانت تخترق البنوك الإسرائيلية، و(صلاح) كان يصنع الهيروين بعدما اختفى من الأسواق، و(عبد الله) كاتب مُحترف لكن فُرصته لم تأت بعد..

جاء دور (صفية) في الحديث:

- ما الذي تود أن تقوله من هذا الكلام يا (أحمد)؟
- أود أن أقول أن هذه الشركة اختارتنا بعناية واضحة، فجميعنا يعمل في مجال مُختلف عن الآخر.. وفي العقد الذي أرسلته لي الشركة هو أني سأصنع أجهزة مُشابهة للجهاز الذي صنعته لزوجتي.. أما الجميع فلا أعلم سبب مجيئه، لكني واثق تمام الثقة أنكم مُختلفون عني في سبب المجيء!

ثم تُرامى التهامس بين الجميع، فتكلم (أحمد) بصوت أعلى منهم:

- ألا تُخطئ تلك الشركة! بالتأكيد هُناك شيء حدث خطأ، أو سـ......

جحظت عينا (أحمد)، وقال بصوت عال للغاية:

- الجثتان!!!

رَكض (أحمد) وتركهم يفهمون ما يفهمون، رَكض مُسرعًا كي يعرف ما يدور بخلده.. كي يتيقن أنه صحيحٌ، لم يَشعر بالتعب، بل كانت الأسئلة تراود عقله كالنار في الهشيم، وَقف أمام بوابة الفندق.. حَدقت عيناه في المكان الخالي من أيّ جُثث، نَظر وراءه، ليجدهم واقفين والدهشة تعلوهم جميعًا..

* * *

- أين ذهبت الجُثتان؟!!

قالها (أحمد) بعدما جَثا على رُكبتيه في المكان الخالي، الخوف والقلق ظهرا على وجهه كالرعد في يوم شديد المطر، جَمدت ملامح وجهه ونظر وراءه إليهم، وجدهم واقفين كما هم، لم يُحركوا جُفنًا، إلا أفواههم المفتوحة عن آخرها، قام من مكانه.. ثم تَحرك بعد أن ضرب يده في الحائط بشدة، شعر بألم يسري بين يديه، لكنه سرعان ما زال.
وَقف أمام غرفته، فوجدهم وراءه، دَخل الغرفة فجلس ومن ثَم جلس الجميع، قال بهدوء:

- ينبغي علينا أن نفعل شيئًا!

قال (عبد الله) بطريقة أشدّ هدوءًا من ذي قبل:

- هل تمتلك أيّ فكرة؟!
- لا.. لكن أظنكم تمتلكون!

نَظر (أحمد) نظرة سريعة إلى وجوههم يتفحصها، فوجد القلق يَسري على وجه (صفية)، لكن سُرعان ما كَشفت له أوراقها، وقامت لتتكلم:

- لَديّ فكرة.

* * *

يوم مشؤوم..
كُل شيء خطأ حَدث في ذلك اليوم.
صوت أقدامهم يعلو، القلق يأكل وجوههم بنهم، جميعهم بائسون مُتيبسون، لا يمتلك أحدهم أدنى أمل في أيّ شيء.. إنهم الخاسرون دومًا.. في أيّ معركة هم الخاسرون.

- أأنتِ متأكدة مما ستفعلينه؟!

أومأت (صفية) برأسها وعلى وجهها بسمة صغيرة، لكن سرعان ما اختفت تلك الابتسامة، وعاد القلق بأوج قوته تلك المرة..
وَقفوا أمام باب الفندق بمسافة كبيرة، لكن (صفية) تَقدمت دونهم، خطواتها كانت بطيئة للغاية تودّ الرجوع، تَرجوها أن ترجع كما كانت.. لكن لا فائدة.. فالقرار قد أُخذ وانتهى..
سارت (صفية) إلى باب الفندق.. ثم مددت أمام باب الفندق.. وَضعت جسدها بأكمله أرضًا، وأغمضت عينيها بقلق شديد..
نَظر إليها (أحمد) بإشفاق، هي من اختارت أن يَحدث لها هذا، لكن لا يعلم أحد أيّ شيء.. لا أحد يعلم ما الذي سيحدث لها، لا أحد يعلم مصيرها.. رُبما تعود سالمة بعد هذا كُله.. أو تعود جُثة هامدة.
انتهى تَفكير (أحمد) بُمجرد أن نَظرت إليه (صفية) وعلى وجهها دمعة خائنة، تَخشى أن تذهب وحدها.. تَخشى أن تتركهم وحدهم إن ذهبت إلى مكان جميل.
لكن قُطعت خيالاته بمجرد أن اختفت (صفية) من أمامهم.. اختفت تمامًا!
كُل شيء خطأ حَدث في ذلك اليوم.

يوم مشؤوم.

* * *

صَوت الصمت اجتاح آذانهم..

ثبتوا كما هُم، لم يتحرك أحدٌ قيد أنملة..

الصدمة تَدهس وجوههم دهسًا، كُلهم خائفون، كانوا خمسة وأصبحوا ثلاثة، وحدهم في ذلك الفراغ الشنيع.

تَحرك رأس (أحمد) لتتجه صوب (عبد الله)، فوجده يسير لا إراديًا نحو مكان اختفاء صفية.. وأخيه.. و(سماح).. ومُصطحب الطعام.. كُلهم اختفوا في مكان لا يعلمه أحد.. سوى مُدير تلك الشركة الملعونة.

جَثا(عبد الله) على رُكبتيه في مكان اختفائهم، رَفع رأسه إلى أعلى فلم يجد إلا سَقفًااختلطت فيهألوان مُبهرة، ثم نَظر بعينيه مُسرعًا إلى الأرض التي أصبحت خلاء.. لم يكن هُناك شيء.. لا يوجد دماء.. وكأن المكان لم يمسسه أحد من قبل..

رَفع (عبد الله) يديه بشدة، ثم نزل بها على الأرض بأقصى قوته، ظل يضرب الأرض بيديه.. ضربها أكثر من ضربة فآلمته يداه بشدة حتى سالت الدماء منهما..

لم تتحرك عينا (أحمد) من عليه، بل ظلتا مثبتتين على وجهه.. ذَرف (عبد الله) دموعًا كثيرة لم يحصها، ليس من الألم.. بل من الخوف، خوف شديد.. خَوف لم ينتبْه من قبل.. تَذكر.. لحظات ما كان مع إخوته وأمه يجتمعون على العشاء.. تَذكر يوم كَتب كلمة تمت على روايته، تَذكر لحظات كثيرة.. وكأن اليوم يوم الذكرى..

كفكف دموعه، حتى نَظر إلى (أحمد) بصمت شديد.. فقام من مكانه بعدما اتكأ على الأرض، سار نحو (صلاح) ببطء، ثم مَرّ ناحية (أحمد)، تَحرك وحده ناحية الغرف.. الدماء تنزف من يده بشدة، لم يُحرك وجهه ساكنًا، بل كان ناظرًا إلى الأرض نظرات تَنمّ عن أشياء كثيرة! حُزن.. خوف.. قلق.. كُره.. كُل شيء اجتمع في تلك النظرات البسيطة..

دخل غرفة نومه، فأغلق الباب..

نَظر (أحمد) إلى (صلاح) نظرات طويلة، لم يعرف أحدهما معناها.. نظرات انتقام..

انتقام شديد.

لكن سُرعان ما سُمع صوت طلقة رصاص أتت من مكان ما..

رَكض (صلاح) نَحو غُرفة (عبد الله)..

أما (أحمد) فظل كما هو، يَنظر إلى الأمام.. مُحدقًا في الفراغ بشدة.

فاجتاح صوت الصراخ أذنيه..

* * *

ثم مَرت الأيام..
انتحر (عبد الله)، واختفت جُثته بعدما وضعوها أمام بوابة الفندق، وانتهى كُل شيء..
انتهت حياتهما مسجونين في ذلك الفندق اللعين.. رحلت امرأة (صلاح)، رحلت صديقتهما وصديقهما، رحل كُل شيء.. ولم يتبقَّ فقط إلا الحزن والكآبة والسواد..
كُل شيء اختفى..
استيقظ (صلاح) بعدما أصبحت حياته تسير على ذاك المنوال.. نوم.. حزن.. ندم.. نوم.
حَدق في سقف غُرفته قليلًا، ثم مالبث أن نَهض عن سريره وأخذ يتجول في غُرفته، سابحًا في تفكيره المقتول.. كُلما تذكر هيئة (عبد الله) والدماء تتجمع من حوله.. كُلما انشطر قلبه نصفين ألمًا.. رأى المنظر وشعر بأن هُناك مسامير ثبتت قدميه في الأرض، لم يستطع الحراك.. بل ظل ناظرًا إلى (عبد الله) ودمعة سقطت دون إبداء أيّ إنذار..
لم يَر (أحمد) مُنذ يومين.. لأنه لم يخرج من غُرفته، وأحمد لم يسأل عليه لأنه بالتأكيد بداخل غُرفته هو الآخر.
تَرك للحيته وشعره العنان، فأصبحت لحيته طويلة وكبيرة، لحية سمراء اللون، وعينان حملتا ألمًا وحزنًا دفينين..
تأكد من كَثرة إلحاح عقله على خروجه من غرفته، لكن ما الذي سيفعله عند الخروج، لا شيء!
لكنه يود الخروج، يود أن يخرج من تلك الغرفة اللعينة..
* * *

أقدام تقترب.. صوت أقدام.
سمع (أحمد) صوت خطوات تقترب منه، تقترب منه بشدة، ليس رجلًا واحدًا بل أكثر من رجل..
ذهبت عيناه بغته نحو الباب.. فأصدر الباب صوتًامُزعجًا..
* * *
لم يُحبذ الخروج أبدًا، لكن عقله يُرسل إشارات غريبة بالخروج..
* * *
ارتعب.. الأجواء وحدها غريبة.. مُرعبة..
اقتربوا منه بشدة، وَقفوا أمامه، فما كان منه إلا أن نظر إليهم.. فسمعوا صوته كالرعد:

- أستاذ أحمد.. نُريدك معنا.. حالًا.

كان الصوت غليظًا، مُرعبًا، ازدرد (أحمد) ريقًا جافًا.. ثم استسلم إلى الأمر الواقع.. وصرخ بأعلى صوته:

- صلاااااااح.

* * *

إنه صوت (أحمد)!
سمع صوت (أحمد) يَصرخ مُناديًاباسمه.. جَرى القلق في عروقه.. فخرج مُسرعًا من الغرفة..
ليجد خمسة أشخاص ذويحُلل سوداء، يسيرون وهم يحملون (أحمد) بين أيديهم كالميت.. ثم حدث كُل شيء بسرعة!
ركض ناحيتهم بشدة، وجد عصا خشبية متواجدة أمام حمام السباحة.. أخذها ورَكض ناحيتهم بسرعة..
فَضرب أول شخص على رأسه بأقصى قوته، فسقط مُفترشًا الأرض بقوة والدماء تسيل على الأرض...
كُل هذا و(أحمد) مُغشيّ عليه، لا يدري ما حوله.. لا يدري ما الذي حَدث.. لا يدري أيّ شيء.
ثَم ضرب الثاني بالعصا.. فسقط بجوار صاحبه.. إلى أن تركوا (أحمد) يقع أرضًا، وبسبب جسد (صلاح) الهَزيل، لكمه أحدهم على وجهه.. ليسقط على الأرض بجوارهم..

* * *

ظلام دامس..
رؤية مضمحلة..
خوف مُحيط من جميع الاتجاهات..
صوت عقارب الساعة..
على هذا استيقظ (أحمد)، عيناه لا تستطيعان رؤية أي شيء. . ظل جالسًا، رأسه يترنح يمنة ويسرة، غُرفة غريبة لا يستطع تحديد ملامحها.. فقط سواد.. سواد كئيب.
انتظر أيّ صوت من أيّ شخص.. لكن لا.. لا يظن أن أحدًاهُنا.. لا يوجد سواه.. فظل كما هو.. مُنتظرًا صوت شخص ما يأتيمن بعيد.
لكن فجأة...
أتى ضوء أبيض شديد على عينيه، كان مُركزًا على عينيه.. حاول رَفع يده

لحماية عينيه.. لكن وجد يديه مكبلتين وقدميه أيضًا..
جحظت عيناه، سرت بداخله رَعشة بسبب الخوف.. لقد كان (سامر) يَقف خَلف ذلك الكشاف الدائري الكبير.. يَقف خلفه ويُلوّح لـ(أحمد) بيديه وبتلك الابتسامة الباردة على وجهه:

- أهلًا بك يا أحمد.
  نَظر إليه (أحمد)، تَحولت ملامحه حتى صارت جامدة، قوية، لا تخاف ولا تهاب أيّ شيء..
  ثم بادله نفس الابتسامة مع نَظرة شيطانية:
- أهلًا بك يا سامر.

اتسعت ابتسامة (سامر) أكثر فأكثر، وقال لـ(أحمد):

- ألا تُريد أن تفهم ما يجري؟! ها قد أتت اللحظة التي يَجب أن تفهم فيها كُل شيء!

رَفع (سامر) يده لأعلى، ثم قال بصوت عالٍ:

- يا لَلعيْب، أتكبلون (أحمد)؟! فكّوا قيده.

ثم أتاثنان من وراء (أحمد) بالضبط وفكّوا وثاقه بسكين، ظَل (أحمد) جالسًا على المقعد كما كان ولم يتحرك، فأتى (سامر) بمقعد متهالك كمقعد (أحمد)، وجلس أمامه بالضبط، فقال:

- أريد أن يَتّسع صدرك لي.. ولا تقاطعني في كلامي.. فلنبدأ من البداية أولًا.

ارتفعت أنفاس (أحمد) وشعر بأن عليه القيام وقتله مُباشرة، ثم أخذ (سامر) نَفسًا طويلًا، والابتسامة لا تفارقه:

- مُذ أن أرسلنا إليكم الرسائل، ونحن مُتفقون تمامًا أن هُناك واحدًا منكم سيصبح بطلًا.. هو من سيصدّ أفعالنا وسيقف أمامنا كجبل شامخ.. كُلّ واحدٍ منكم كان مُختلفًا عن الآخر في كُل شيء.. في مجال عمله، في السبب الذي أتى هُنا من أجله، في كُل شيء.. قبل أن تأتوا.. وَضعنا سيناريو للأحداث التي ستَحدث في ذلك الفندق.. والتي كُنا نتوقعها.. بل كنتم تسيرون عليها بالحرف.. تسيرون على ما وضعناه بالضبط.. كُل شيء في الورق حَدث، دون أن تعلموا.. دون أن تعرفوا ما تفعلونه، هذا هو ما نريده نحن.. ونحن فقط.

قام من مكانه، ثم استطرد:

المقدمة كانت كبيرة أليس كذلك؟! لا يَهم.. فلنكمل حديثنا.. أرسلنا إليكم الرسائل، وعندما أبيت وأبى الجميع، ثم استنكر الرسالة.. جعلنا كُلّ واحد فيكم ينام لمدة دقيقتين.. ويَحلم بي في حُلمه وأنا أحذره إن لم يأتِ ستكون نهايته..
سرّ تلك الخدعة هو أننا وضعنا شيفرة إليكترونية في الرسالة، عندما تُقال من قارئ الرسائل تسمعها الأذن فتدخل إلى العقل مُباشرةً مجسدة تلك الصورة التى رأيتها ورآها الجميع.

* * *

- *سيداتي آنساتي سادتي.. نُرحب بالجبان.. الضعيف.. الغبي.. (صلاح عابر أبو البر).*

يَذهب الضوء البسيط على شخص من الواقفين.. لقد كان هو (صلاح) ذاته، يقف وَسط الجمع لا يستطيع فَهم أيّ شيء، لكن سرعان ما نظر إليه الرجل الواقف على المسرح وهو يشير بإصبعه:

- *إن لم تأتِ يوم الخميس، فستكون نهايتك.*

أفاق (صلاح) من ذِكرياته، وعلى لسانه ترددت كلمة واحدة فقط:

- *سأذهب.*

* * *

ياليته ما جلس! لَقد وقف مرة أخرى على قدميه، ليسير نحو المرآة، بخطوات متثاقلة هرِمة، استند على الحائط لسبب يجهله، شَعر بالدوار الشديد.. أخذت أنفاسه تتلاحق بسرعة قسوة، أهذا لأن وزنه كبير؟ أم هي مُجرد نوبة صغيرة كالتي كانت تأتيه عندما كان صغيرًا؟ قَبل أن يُغلق عينيه كان قداقترب الجهاز الذي يُساعده في الوقوف مرة أخرى على قدميه وإنعاشه بطريقة أوبأخرى، فقد استسلم (عبد الله) للأمر الذي أتاه من جسده وهو أن يَفترش على الأرض كالموتى، قبل أن يقع كان الجهاز قد افترش الأرض وهو ينتظر أن يقع، الجهاز عبارة عن مَرتبة مطاطية، عندما تنام عليها لا يحدث لك أيّ شيء وتحافظ عليك من الكسور والجروح، طولها وعرضها كبيران للغاية وهذه ميزتها.. ولكن الميزة الأكبر أن لها جِهاز تحكم تُلقائي، كان يضعه عبدالله في جيب منامته، لذلك فهي تتحرك نحو الذي يحمل الجهاز بسرعة مهولة، ويكون حجمها عندما تَقف دون أيّ تَحرك رفيع وطويل ولا يأخذ من المكان حيّزًا..

وقّع عبدالله على تلك المرتبة المطاطية، لم يمرّ من الوقت أكثر من خمس دقائق حتى استفاق عبدالله، أخذ يَنظر إلى السقف بشرود تام؛ وهو يُركز على كُل ركن فيه، استقرت دمعة على وِجنتي عبدالله وهو يقول في سِرّه:

- *سأذهب..*

* * *

- أما أنت يا (أحمد)، فكُنا نعرف نقطة ضعفك وهي زوجتك وابنك، لذلك جعلنا رسالتك مُختلفة قليلًا

* * *

استيقظ أحمد على صوت زوجته تَصرخ بشدة، لم يفهم أحمد ما الذي يحدث لها، ولكنه سُرعان ما ابتسم بعدما أضاء الأضواء وقال لها:

- *الآن؟*

أومأت برأسها في صعوبة شديدة، ابتسم هو أكثر عندما رأى وجهها، نَظر إلى بطنها ولمعت عيناه، حَملها بين يديه، من دون أن يرتدي أيّ شيء، نَزل بمنامته ووضعها بداخل السيارة على الأريكة الخلفية، دَخل وقال بصوت عالٍ لمركز التحكم في السيارة:

- *أقرب مَشفى للولادة..*

انطلقت السيارة في سُرعة مهولة، كان هو معها بالخلف ويُطمئنها، يَضع المناديل على وجهها بسبب كَثرة العَرق الذي يولّده وجهها.. سارت السيارة عن طريق مُحركها الإلكتروني، وهو يجعل السيارة تسير وحدها دون أن يتحكم بها أحد، كانت فرحته تتزايد ولكن كان ألمها يَكبر ويشتد.. سُرعان ما توقفت السيارة أمام المشفى، نَزل (أحمد) بسُرعة وصاح بصوت عالٍ:

- *نُريد مساعدة.. بسرعة!!!*

نَزل أربعة أشخاص ومعهم سَرير صَغير، أخرجوا (رَحمة) من السيارة، وضعوها على السرير ومن ثَم رَكضوا بها تجاه غُرفة العمليات، لكنه نَظر إليها مرة أخيرة قبل دخولها للغرفة.. وجدها تنظر إليه.. وانسابت دمعة صغيرة من عينيها المسكينتين..

فيصحو هو من عالم الذكريات الذي عاش بداخله..
بدمعة صغيرة انسابت من عينيه المسكينتين..
تجعله يقول كَلمة واحدة فقط..
- "سأذهب".

* * *

- كُل ما فعلناه معك يا (أحمد)، هو أن أحيينا تلك الذكرى في عقلك لكي تُفكر بهم.. ثم تتذكر مكالمات زوجتك التي كانت تأتي إليك كُل يوم.. ثم تتذكر رسالتها الأخيرة لك وهي تقول أن الحياة لن تنتهي..

تَذكرهم (أحمد) بخوف، تَذكر تلك اللحظات.. بينه وبين زوجته، فقال له (سامر) في عجلة:

لا وقت للذكريات هنا.. فلنكمل.. جعلناك تأتي بإرادتك الكاملة، لم نَضغط عليك ولا على غيرك كي تأتوا إلينا، جعلناكم تُمضون على عقود كثيرة للموافقة على عدم الخروج من هنا، مع ذلك، حاول (عبد الله) و(صفية) الخروج.

* * *

ها هو الطريق.. وها هي الحرية.

كان خائفًا للغاية، رَغم أنه لا أحد يَقف أمام الأبواب.. رَغم أنه لم يعترضه أحد.. لكنه كان خائفًا لسببٍ ما.. مجهول!
وَقف أمام الباب، أغمض عينيه في تردّد شديد، تَنهد بخوف وبحسرة، إنه يودّ الخروج.. لكن لا يعرف كيف!
نعم.. إنهم البشر يسيرون إلى عملهم.. يطيرون بأحذيتهم الطائرة، كم كان يود أن يرى ذلك المشهد منذ أن جاء، لقد اشتاق إلى عبثية الطرق، لقد اشتاق إلى السير في أوْج الحر صيفًا وأعماق الصقيع شتاءً.. اشتاق إلى الأرض وما عليها!
كان الباب عبارة عن زجاج شفاف يجعلك ترى البشر كُلهم، اندفع إلى الباب ببطء فلم يستطع فتحه.. اندفع إليه بقوة أكثر فلم يستطع أيضًا.. ابتعد خَطوتين واندفع نحو الباب بلا جَدوى.
أمسك مِقعدًا موجودًا في صالة الاستقبال ثم حاول كَسر الزجاج، صَرخت (صفية) في ذعر مما رأته، لكنه لم يَستطع كَسر الزجاج.. الناس كانت تراه ولم تكن تعطيه أدنى اهتمام، كانوا يَنظرون لكنهم يَقطعون نظراتهم مُسرعين.. ألقى (عبد الله) المقعد بعيدًا بعدما فشل في كسر الزجاج وأخذ يَصرخ:

- فلـيســاعــدنــا أحـــدكـــم..

نَطقها عدة مرات، لكنك تَشعر وكأن الصوت لا يَخرج إليهم..
شعر بأن أحباله الصوتية تَمزقت تمزيقًا، فهدأ تمامًا..
هدأ حتى جَثا على رُكبتيه وأخذ يبكي..
فما يَحدث له الآن هو أصعب عِقاب تلقاه في حياته..
* * *

- ثم أتيت أنت وحاولت أن تجعل الفوضى حلًّا..

* * *

- اتجِه نَحو النجفة الكبيرة، واعبثْ بها كما تشاء.

نظر (عبد الله) إليه، وكالعسكري في الجيش، أومأ برأسه ثم اتجه ناحية النجفة الكبيرة بوسط صالة الاستقبال، أخذ مقعدًا من المقاعد الزجاجية، فرفعه بيديه وعيناه تحملان شررًا كبيرًا لم يَكن موجودًا عند (عبد الله) من قبل، ألقى المقعد ناحية النجفة الكبيرة، فسقط المقعد مُنكسرًا بشدة والزجاج يتناثر في كُل أرجاء المكان، وسقط زجاج النجفة بالكامل.. نَظر إلى (أحمد) فوجد أنه كَسر مقعدين بالكامل.. ابتسم (عبد الله)ابتسامة شيطانية.. والآخرون واقفون مُتفرجين بصمت.. فانطلق صوت أحدهم يَهز أرجاء المكان:

- ما مطالبكم؟!

نَظر (عبد الله) إلى (أحمد) بفرحة باغتته من حيث لا يَدري، وهَلّل (أحمد) بشدة لكن دون أن يُخرج أيّ صوت، لكن الفرحة كانت تجتاحهما هما الاثنين، نَظر (صلاح) إلى (سماح) فوجد ابتسامة ترتسم عليها وصفية كذلك، فَرحة أتتهما عندما رَدّ ذلك الصوت عليهم! ثم تكلم (أحمد) بقوة:

- نُريد أن يأتي إلينا أحدكم الآن ويُفهمنا كُل شيء، لقد أتيت هذا الفندق اللعين كي أخترع جهازًا كالذياخترعته لزوجتي، وأم صديقي قُتلت من قِبل أحدكم، إننا نعيش في سجنٍ كبير، لكن لا فرق بينه وبين السجن الصغير!

ولوهلة تَشعر أن الصوت ابتسم ابتسامة هازئة، ثم قال:

- في الصباح الباكر..

تَجهم وجه (أحمد)، فأخذ مقعدًا من على الأرض ورفعه إلى أعلى فثبت على تلك الوضعية، فأردف:

- الآن...

فسكت الصوت تمامًا، فقال (صلاح) لـ(أحمد):

- ما الذي يتوجب علينا فعله الآن؟

نَظر إليه (أحمد) وظهر الغيظ في وجهه فقال:

- فلتصمت الآن وللأبد!

طأطأ (صلاح) وجهه في خَجل لأنه لم يَكن معهم من البداية، فأتى صوت الباب يُفتح لمدة ثانيتين وانغلق مرة أخرى، نَظر (أحمد) إلى الباب مُسرعًا لأنه أقربهم إليه، فوجدوا (سامر أبو العينين) يتقدم:

- وها أنا قد أتيت إليكم..

* * *

عندما أُغلق ستار الغرفة فأصبحت غارقة في الظلام، اتجه نَحو غُرفة (صلاح)، وَقف أمامها كثيرًا.. رَجع عدة خطوات للوراء، وهرول تجاه الباب وكسره.. ليستيقظ (صلاح) مفزوعًا وألقت عيناه على (أحمد) نَظرة لم يفهم معناها.. اتجه أحمد إليه بخطوات سريعة، أخذ يَنظر إليه طويلًا.. لكنه لم يتكلم، بل انقضّ عليه..
لمْ يَعرف لماذا يَضربه، لماذا كَسر الباب، لماذا فعل كُل هذا..
وكأنه يُنفذ أوامر خفية!

* * *

- نَعم نحن من فعلنا ذلك.. نحن من جعلناك تَضرب (صلاح) بشدة، وجعلنا الجميع من بعدك يَدخل في شجار مع بعضهم البعض..

لم يَفهم (أحمد) كلماته جيدًا، فرفع شفتيه كي يتحدث لكن قاطعه (سامر) بابتسامة وقال:

- لَحظة هُنا.. أعلم أن الموضوع صعب الفهم.. لكنك ستفهم.. نَحن شَركة كبيرة للغاية، أكبر من ذلك كثيرًا، فروع شركتنا تَمتد إلى كُل دِول العالم.. لم

نَترك دولة إلا وجربنا بها ذلك الجهاز.. جهاز أول مرة في التاريخ يَتم صنعه.. جهاز رائع بحق.. أتعرف يا صديقي الرائع ماذا؟!إننا الآن نستطيع إزالة أيّ شيء بداخل الإنسان، مثلًا، أنت تمتلك الحُب.. ولا تمتلك الكُره، نجعلك تمتلك الكُره والبغض، والحبّ يكون لنا.. نمتلكه نحن.. ونُرجعه إليكم كما نحب نحن.. هذا ما فعلناه معكم، كُلكم بلا استثناء كُنتم تمتلكون الطِّيبة.. مُذ أتيتم لم تتشاجروا، وأنتم نائمون كُنا نأخذكم ونضعكم على ذلك الجهاز الكبير.. وعرفنا أن الصفتين المشتركتين بكم هما الطيبة والتفاهم.. الطيبة أزلناها في أول مرة.. وبدلناها بالغضب.. جعلنا الجميع يتشاجر مع بعضهم البعض.. وأنت كُنت البداية! لكن سُرعان ما أزلنا الغضب وأرجعنا إليكم الطيبة كما كانت..

حَدّق (أحمد) في (سامر) بغرابة وخوف، الآن فهم لِمَ فعلوا بهم كُل هذا، ثم استطرد (سامر):

- لم تكن تعلم فَرحتنا يا (أحمد) عندما نَجح ذلك الجهاز.. نَجح وبشدة في تلك المرة.. كُلّ شيء كان يسير بأوامرنا.. حسب قوانينا، نحن الفرع الوحيد الذي نجح به الجهاز.. ونجح نجاحًا ساحقًا.. فأكملنا معكم الصفة الثانية والأخيرة وهي التفاهم.. كُلكم كُنتم تمتلكون التفاهم.. تفهمون بعضكم بسرعة، وهذا شيء لم نكن نريده في شركتنا.. فأزلناه من عندكم.

* * *

نَظر (عبد الله) إليهم جميعًا، بلا مبالاة قال:

- اعذروني على تَدخلي.. لكنني أشعر بالجوع حقًا ولا أستطيع أن أفكر إلا عندما أغذّي بطني.

تَجهم وجه (أحمد) جراء ما سمعه، فقرر أن يهدأ لأنه لا يوجد وقت للغضب، قام (صلاح) فقامت (سماح) معه، فعقد (أحمد) حاجبيه وهو يقول:

- إلى أين أنتما ذاهبان؟ هل ستتركان ذلك الحديث وتذهبان؟

فقال (صلاح) دون أن ينظر إليه:

- أودّ الذهاب لحمام السباحة، أشعر بالشمس تغتصب جسدي.

ابتلع (أحمد) ريقه، فلم يُجب على (صلاح) ولن يَفعل، اتجه (صلاح) ناحية الغُرف، وظلّ (أحمد) واقفًا مُتجهم الوجه، فلم يبقَ معه سوى (صفية) و(عبد الله)، قام (عبد الله) من مكانه، وقال لأحمد:

- اعذرني يا صديقي.. أشعر ببطني تُزمجر.

ابتسم (أحمد) ابتسامة حَسرة على ما هو فيه، فأومأ برأسه، ذَهب (عبد الله) بخطوات بطيئة نَحو غُرفته، فلم يتبقَّ إلا (صفية) و(أحمد) معها، لم يَنظر إليها (أحمد) فتكلمت هي:

- أتعلم يا (أحمد) أننياشتقت لأمي للغاية..

نَظر إليها (أحمد) بغضب، فخافت هي وبدأت أمارات وجهها بالتقلص، أخذت أنفاس (أحمد) تعلو.. أغمض عينيه وهو يفكر بشيء ما، إنه يعرف أن ثَمة شيء ما يحدث، هُناك شيء غريب يحدث!
تقطّب وجهه، ثم سار وتَرك (صفية) جالسة على الأرض كما هي..
خَرج إليهم، فوجد (سماح) و(صلاح) يسبحان في الماء ويضحكان! رَغم كُل ما حدث بهما.. يضحكان!
ورأى (عبد الله) يأكل أمامه على الأريكة، لقد صنع له الأكل الجهاز الآلي (روبت) لأن عندما قَتل (أحمد) مُصطحب الطعام لم يأت لهم الطعام أبدًا..
ظلّ واقفًا، وعلامات التعجب تَرتسم على وجهه..
حقًا!

* * *

- وبهذا.. تكون قد فَهمت كُل شيء.. أعلم أن لديك أسئلة كثيرة وكبيرة جدًا تراود عقلك بإلحاح.. لذا سأسمعها منك وسأرد عليها.. إذا لم أردّ، فلتعلم أن إجابتها ستعلمها وحدك.

وكأن تلك كانت إشارة البدء.. سُرعان ما قال (أحمد) وكأن السؤال مُحضر بداخل عقله:

- لِمَ قتلتم أخ وأم (عبد الله)! ماذا فعل لكم؟!
- قُلت لك مُسبقًا، (عبد الله) خَرج عن طوعنا وودّ الخروج من هُنا دون أدب.. كُنا نُريد أن نجعله يتعلم دَرسًا قاسيًا لا ينساه.. قتلنا أمه وهي أمامه، وأخوه الأكبر تركنا جُثته على الباب.. أنت تعلم ذلك!
- أعلم..

بدت ملامح الغضب واضحة على وجه (أحمد)، لكنه صمت، مُتحملًا بشدة كُل هذا الكلام:

- لم تركتموه ينتحر؟!
- هذه هيالنهاية العادلة للجميع يا صديقي.. كُلكم طمعتم في الأموال، وستأخذونها بمجرد خروجكم من هُنا..
- لِمَ فعلتم ذلك بـ(سماح)؟! لِمَ قتلتموها؟!
- معذرةً، لم نقتلها، زوجها من قَتلها والقرار كان في يده.. قُلت لك وسأقولها لك مرة أخرى، تلك هي النهاية العادلة للجميع.
- أين ذهبت جُثتا (سماح) و(عبد الله)، أين اختفت (صفية)؟!

كان صامتًا، لم يتحرك ولم يتكلم، بل ظل ساكتًا، هذا يعني أنه لن يجاوب على السؤال، فسرعان ما غيره بسؤال آخر:

- ما الذي سيحدث لي؟!

نَظر إليه (سامر) طويلًا، ثم ضَحك بشدة، ضحك بسخرية كبيرة، فقام من مقعده وهو يضحك.. ثم خَرج من الغرفة وتَرك (أحمد) وحده.. سابحًا في خيالاته وأسئلته..
زاد خوفه وقلقه، بشدة!

* * *

حَل الظلام..
واستيقظ (صلاح) من غشيته، ليجد نفسه كما كان، مُلقًى على الأرض بإهمال، بجانبه تلك العصا الخشبية.. بجواره الاثنان اللذان ضربهما حتى سقطا بجانبه..
استيقظ قبلهما، ثُم نَظر إليهما بعدما احتلته الآلام كثيرة من شتى اتجاهات جسده، طرأت له فكرة..
من الممكن أن تذهب به إلى الخلاص.. أو تُذهبه إلى جحيم أرضي.

* * *

صوت خطوات..
ضوء يَترنح..
صوت ساعة عُلقت حديثًا في الغرفة..
طأطأ (أحمد) رأسه كما كانت، لكن الخوف حَل عليه بمجرد أن سَمع صوت تلك الخطوات..

لم يُفكر، فلم يعرف كم من الوقت مرّ في تلك الغرفة وهو بداخلها، يَذكر كُل كلمة قالها (سامر) باهتمام ودقة، يَتذكر تلك الابتسامة التي ترتسم على وجهه بين الحين والآخر..
يعرف أنه سيرى وجهه، وسيرى تلك الابتسامة الآن.. وحالًا.
فُتح الباب فأصدر زمجرة عالية، دَخل (سامر) بنظارته الطبية تلك وحُلته السمراء، نَظر إلى عيني (أحمد) المنكسرتين مباشرةً بنفس الابتسامة التي لم تتغير أبدًا..
تَحرك وأضاء مُحرك الإضاءة، فأضيئت الغرفة بأكملها، اقترب منه ووضع المقعد أمامه مُباشرة، جَلس عليه ثم تكلم:

- سألتني، وقُلت ما الذي سأناله من عقاب..

مُحيت الابتسامة من وجهه، وحَلّ مكانها وجهٌ عابسٌ، جامدٌ، نَظرة شيطانية بحق..
ثم استطرد بلهجة غريبة:

- هُل تريد معرفة هذا حقًا؟!

أخذت أنفاس (أحمد) تعلو، ثم أومأ برأسه، خائفًا بشدة من نظرة (سامر) تلك!
قام (سامر) من مكانه بسرعة، فوقف يتأمل (أحمد) بنظرة أشبه بالتهديد.. ثم خَرج من الباب بعد نظرة طويلة إلى (أحمد)، خَرج وترك (أحمد) خائفًا مُرتجفًا مما سيحدث، سمع صوت خطوات تقترب من الباب.. لكن ليس لشخص واحد، بل لشخصين.
اقترب الظل من الباب.. فوقف (أحمد)، وابتعد قليلًا عن الباب.. ابتعد بشدة؛ دَخل (سامر) ومعه فتاة..
انقبض قلب (أحمد).. جحظت حدقتا عينيه.. اتسع فكه حتى شعر بأنه وصل إلى صدره..
فتاة ذات وجه قمريّ، وشعر أشقر يداعب كتفيها..
فتاة جاءت حاملة معها قلبه الذي دُفن معها.. (رحمة).. زوجته.

* * *

قبل ذلك **بيومين**:

ظلام دامس، لا يوجد إلا بقعة ضوء صغيرة في الأفق..
رأتها (صفية) بخوف وعدم فهم، فالمنظر مَهيب بحق.. لا يوجد أيّ شيء سوى باب على بُعد خطوات منها.. باب حَديديّ ضخم، يشع من فوقه نورٌ ضعيفٌ.. لكنه كافٍ لرؤيته.

لاح الخوف بوجهها، اقتربت من الباب بخطوات مُضطربة، وَقفت أمامه وأخذت تتأمله كثيرًا.. وَضعت يديها على المقبض وفتحته، فتحت البوابة الحديدية بسهولة شديدة.. وبمجرد أن خَطت أولى خطواتها، أُضيئت الغرفة بأكملها بحرفية شديدة! فوجدت صناديق زجاجية على الأرض، بداخلها أشخاص بالتأكيد أموات، نَظرت كثيرًا إلى الصناديق برعب وهلع، فرأت جُثة مُصطحب الطعام الذي قتلوه، جُثة (سعيد) أخا(عبد الله)، وبجواره صندوق بداخله جُثة (عبد الله)، هُنا ارتسم الهلعبأبشع معانيه على وجهها، عندما رأت جُثته بداخل صندوق زجاجيّ، عيناه مفتوحتان والدم حوله.. وصندوق آخر لشخص لا تعرفه.. وصندوق لطفل صغير وجهه قمري.. وصندوق لفتاة صغيرة لم يتعدَّ عمرها العامين.

لكن كَيف أتى(عبد الله) بتلك السرعة! لقد تركته الآن.. لم تعطِ للأسئلة أهمية الآن، لأن ما هي به أكبر من أيّ سؤال يجول بخاطرها، نَظرت إلى (عبد الله) نَظرة طويلة، ثم سارت في طريقها كما هي.. رأت جُثة (سماح) بجوار جُثة (عبد الله)..

كانت الغرفة واسعة، بها أسرّة كثيرة وأشياء تَدل على أن هُناك بشرًا يعيشون هُنا.. رأت بوابة أخرى أمامها، انقطعت ابتسامتها وحَل مكانها الخوف من جديد، هل تَدخل.. أم لا!

الاختيار صعب للغاية، وأصعب شيء به أننا لا نعرف اختيارنا صحيح أم خطأ..

وقفت أمام البوابة، فتحت الباب بتردد، فسمعت صوت أشخاص بالداخل!

ابتعدت لا إراديًا عن الباب، لكن سُرعان ما سمعت صوت أحدهم للمرة الثانية يقول بتوجس وخوف:

- إنهم أتوا.. إنهم أتوا!

ثم شعرت أن قلبها توقف عن النبض.. دخلت الباب، فرأت غُرفة بها كُل شيء.. لا ليست غُرفة، بل شقة كاملة! بها كُل شيء..

نَظرت (صفية) يمينًا، فوجدت أربعة أشخاص لا تعرفهم بالداخل.. يَنظرون إليها بقلق وعيون متسعة.. وخوف لم تره في عين بشريّ قط..

* * *

- من أنتِ؟!

قالها شخص من الأربعة، كانوا فتاتين ورجليْن، لم تعرفهما.. لكن ظلت الدهشة تتربص بوجهها، فلم تنطق ببنت شفة، أعادت فتاة من الفتاتين السؤال مرة أخرى:

- يا بنت.. من أنتِ؟!

كان شعرها أشقر لكنه قصير للغاية، وجهها جميل، طويلة القامة قليلًا، رُبما هي في عقدها الرابع، نَظرت (صفية) إليها، فأخذت نفسًا عميقًا وقالت بتردد:

- أنا (صفية).. كُنت أعيش في الفندق هُنا، وأتيت إلى الفندق مُنذ ستة أشهر.. أما أنتم، فمن؟!

نَظر الرجل إليها، ثم قال بتوجس:

- من يأتي إلى هُنا يكون ميتًا.. أو يكون مثلنا!

ثم تقدمت الفتاة الأخرى، وقالت بعدما وقفت أمام (صفية) مُباشرة:

- كيف أتيتِ إلى هُنا؟!

رجعت (صفية) خَطوة واحدة إلى الوراء، فقالت:

- لا أعلم كيف وَصلت إلى هُنا.. فَتحت عينيّ بعدما أغلقتهما لأجد نفسي هُنا..

نَظرة إليها الفتاة التي أمامها نَظرة شك واضحة، وقالت:

- أنا (سَمر).. خمسة وثلاثون عامًا.

ابتسمت (صفية) مُجاملةً، مَدت يديها لمصافحتها.. فصافحتها وقالت:

- أهلًا بك.

تَقدم رجل من الواقفين، وقال لصفية:

- أنا (هاني).. أربعة وثلاثون عامًا، (سَمر) زوجتي.

تَقدمت الفتاة الأخرى، فأردفت:

- أنا (كريستين)، ثلاثون عامًا.

تقدم الرجل الأخير، لونه أسود، له لحية كثة، ويرتدي قبعة، فقال لـ(صفية):

- أنا (يوسف)، سبعة وثلاثون عامًا، زوج (كريستين).

وقفوا أمام (صفية)، فأردفت:

- شَرف لي أن أتعرف عليكم، لكني أريد أن أعرف.. كيف أتيتم إلى هنا؟! ولماذا؟

نَظرت (كريستين) إلى زوجها (يوسف)، فقال (يوسف) بقلق:

- أنتِ أول شخص رأيناه مُنذ ما يُقارب العامين..

عَقدت (صفية) حاجبيها، فاستطرد (يوسف):

- فلنكمل حديثنا بالداخل.. تفضلي.

سارت (صفية) خلفهم، دَخلوا إلى غُرفة كبيرة بداخلها مقاعد، فجلس الجميع عليها واستأذنتها (كريستين) أن تجلس.. فجلست (صفية) معهم وهي تنظر يمينًا ويسارًا كُل لحظة.. لا تعرف ما الذي سيحل عليها، فقال (هاني) لكي يَقطع الصمت:

- نَحن نعرف أنك قلقة.. لكنك لا تعرفين ما مدى قلقنا منك.. صدقيني.. نَحن نتكلم سويًّا كُل يوم كي لا ننسى اللغة التي نُحادثك بها الآن، نَحن أيامنا أصبحت سوادًا مُنذ أن وافقنا على دخول ذلك الفندق، وننتظر أن تنتهي مُهلتنا كي نسير من هُنا..

تكلمت (صفية) بحماس:

- أريد أن أعرف ما الذي حَدث لكم، وكيف وصلتم إلى هُنا؟

نَظر (يوسف) إليهم، فتنحنح، وتكلم بعدما أخذ نفسًا عميقًا:

- أرجو أن لا تكوني فعلتِ مثلما فعلنا.. فَحدث لنا عقاب شديد منهم.. أرجو أن تكوني لنا آذانًا مُصغية.. لتعرفي.

أومأت (صفية) برأسها، فاستطرد (يوسف):

- مُنذ عامين.. أتتني رسالة تقول لي أن هُناك شَركة تُريدني أن أعمل بها لمدة عامين ونصف، وكُل شيء سيكون مُتوفرًا.. لكن حالتي وقتها كانت سيئة، سيئة للغاية، فوافقت دون تفكير.. وعندما ذهبنا للاجتماع، رأيت (كريستين) – ثم نَظر إليها بنظرة تحمل حُبًّا لم يُرَ من قبل - أحببتها من أول نَظرة..

ثم قال بسخرية:

- لو كانت لتلك الشركة حَسنة فعلتها معي، فتلك الحسنة هي أني رأيت (كريستين)..

اعتدل في جلسته ونَظر إلى (صفية):

- وافقنا على الدخول في الفندق لمدة عامين ونصف، كُنت مُترددًا في المرة الأولى، لكن بعدما رأيتها زال ذلك التردد أبدًا، مرّ أول شهر كأنه سنة، لم يكن هُناك أيّ شيء نفعله، بل كُنا في غاية الملل، وحدنا في الفندق، لا أحد معنا.. كاميرات في كُل مكان.. مُصطحب الطعام الذي يأتي.. لا شيء جديد نفعله.. حاولنا الاتصال بصاحب الشركة والفندق، لكن لا يوجد أيّ طريقة للوصول إليه بها..

ثم ابتسم ابتسامة واسعة والفرح يجول بوجهه:

- وتزوجنا أنا وكريستين.. وتزوج هاني وسمر.. وكان يومًا رائعًا، احتفلنا سويًّا، نحن الأربعة احتفلنا في الصالة الواسعة، والكاميرات تراقبنا.. كان يومًا سعيدًا بحق..

واتسعتابتسامته مرة أخرى:

- وبعد عام.. أنجبنا فتاة صغيرة، فتاة كانت هي كُل حياتي، كُل شيء.. أسميناها (حياة)، نَسيت الملل وحَلت الفرحة مُجددًا بيننا عندما أتيت..

تَحولت الابتسامة إلى وجه اختلط به الحُزن والغضب معًا:

- لكن في يوم، شعرنا بملل قاسٍ.. بملل غير عاديّ، فذهبت أنا و(هاني) إلى الصالة، ثم حاولنا أن ننادي عليهم لكي نتكلم معهم.. وفي النهاية حاولنا كَسر الباب الزجاجيّ.. لكننا لم نفلح.. حاولنا كَسر بعض المقاعد الزجاجية، فنجحنا في كَسر جُزءٍ منها.. وصولًا إلى النجفة الكبيرة.. كُنا على وشك كسرها.. لكننا سمعنا زوجتي تصرخ بطريقة غير عادية!

نَظرت (صفية) إليهم، فوجدت الدموع تسيل على وجوههم، إلا (يوسف).. عيناه قد امتلأتا بالدموع لكن سُرعان ما مسحها كي لا تظهر، حتى (هاني) دموعه قد سالت، فاستطرد:

- عَرفت أن (حياة) قد ماتت بطريقة لم نعرفها.. فجأة توقف قلبها عن النبض.. وماتت (حياة).. ماتت وتركتنا وحدنا!

هُنا.. لم يستطع تمالك دموعه، فسقطت دموعه بغزارة، واقشعرت (صفية) مما تفعله تلك الشركة.. وانسابت دمعة صغيرة من عينيها، فأكمل (يوسف) بنبرة حزينة للغاية:

- ذهبت إليها، فوجدتها نائمة كما كانت.. لكن قلبها مُتوقف تمامًا، فعلنا كُل شيء لأجل إنقاذها، لكن قد فات الأوان..

مَسح دموعه، وعادت ملامحه كما كانت، فاستطرد:

- عندما ماتت.. عَرفت أنه انتقام الشركة منا.. وأنها تُراقب كُل شيء وتستطيع فعل أيّ شيء يَخطر على بالنا، كُنا ضحيتهم دون أن نعرف.. فجاءنا أستاذ (سامر) في مَرّة لكي يوّضح لنا كُل شيء.. وعَرفنا أنهم حاولوا إجراء شيء علينا وفشلوا به، ولم يقولوا إلينا أيّ محاولة.. كُنا جبناء.. لم نواجهه، بل جلسنا كما نحن جالسون الآن نَستمع منه.. فَعرض علينا أننا سنجلس هُنا إلى أن تنتهي مُدتنا.. وسنكون أحرارًا، ووعدنا أنه لن يقترب منا.. وكُل ما ستقدمه الشركة إلينا هو الطعام يوميًا والشراب وكُل ما نريده، ولن يؤذَى أحدٌ منا.. فوافقنا على عرضه.. وها نحن في تلك الشقة مُنذ عام تقريبًا.. لم نَخرج منها.. وجُثة ابنتنا في الخارج، كُلما أوحشتنا.. فهي في الخارج، نَذهب إليها ونَظل نحادثها، ولكنها لا تَرد.

أنهى (يوسف) حديثه، فاستأذنته (صفية) أن تتحدث، وبالفعل:

- كُل ما حدث لكم حَدث معنا، فنحن كُنا خمسة وأصبحنا ثلاثة، قتلوا منا اثنين، لا أعلم الثاني كيف قُتل، لكنه قُتل بطريقة غريبة، أو انتحر.. لا أعلم..
حاولنا كَسر الباب الزجاجيّ وفشلنا، حاولنا أن نستعين بشخص لكي نُحادثه، فشلنا أيضًا.. لكن الفرق بيننا وبينكم، أننا كُنا أقوياء وشجعان.. لم نَكن جبناء مثلما وصفتم أنفسكم.. لا أعلم كيف انتهى أمرهم الآن.. لكني أعلم أني الآن بأمان أكثر منهم.. فربما يموتون الآن!

قال (هاني) بتردد:

- وما الذي علينا فعله؟!
- أنا لم أقل شيئًا، أنا أقول لكم أن كُل ما يحدث هو سيناريو كُتب.. حَدث لكم ولنا في أوقات مختلفة.. لذا يَجب أن نتكاتف معًا وننقذهم مما سيحدث بهم!

قام (يوسف) من مكانه، وهو يقول:

- نَحن لن نستطيع مساعدتك يا أستاذة (صفية)، نحن آسفون..

تعجبت (صفية).. فقالت:

- لكن لِمَ؟!

- لقد وعدنا الرجل بأنه لن يمسَّنا.. ووعد فأنفذ، لم يمسسنا أيّ ضرر منه..

غَضبت (صفية)، وقالت بعدما علا صوتها:

- من الواضح أنك نسيت ابنتك التي قتلوها! يَجب علينا أن نفعل شيئًا لكي ننهي ذلك الظلم..

نَظر (يوسف) إليها طويلًا، فقال:

- ونحن لن نلعب مع الطرف الخاسر..
- وكيف عَرفت أننا خاسرون؟! صدقني نحن أقوى منهم بمراحل!
- كيف؟!
- نحن نَستطيع فعل أشياء خطيرة تَضرّ الشركة، و(أحمد) يعرف الكثير منها.. بالمناسبة، (أحمد) هذا هو أقوى شخص معنا في المجموعة، وهو السبب في أن نكون أقوياء بهذا الشكل.. إن كنت لا تُريد التصديق فهيا بنا نرَهم..

ثم ألحّ سؤال على (صفية) بشدة، فقالت لهم:

- هل تعرفون طريق الخروج من تلك الغرفة؟!

* * *

الفصل الثامن: معرفة.

لم تتغير أبدًا! شكلها كما هو، وكأنها لم تختفِ لمدة طويلة.. وكأنه رآها البارحة، لم ينسَ شكلها ولن ينساه!

أخذت أنفاسه تعلو، رحبته بابتسامة على فمها، لكنه سار ببطء شديد تجاهها وسامر يقف وراءها تمامًا، فيقول وابتسامته كما هي:

- سأترككم وحدكم لبعض الوقت.

خرج من الباب، ثم نَظر إليها بغرابة وعينين متسعتين، ذَرف دمعة.. فبكت هي بحرقة.. فهرولت تجاهه وارتمت بحضنه، وكأنها طفلة صغيرة، أخذت تبكي، وهو صامت.. لا يتكلم.. دموعه تنزل كالمطر، لكنه مُحدقٌ في الفراغ.. لا يَصدق أيّ شيء، وَضع يده على ظهرها ببطء شديد، غير مُصدقٍ أنها أمامه! وكأن ما يحدث الآن مُجرد حُلمٌ سخيف، سيستيقظ يبكي على إثره، لكن كُل شيء حقيقي.. وواقعي تمامًا.

تخطت مدة العناق أكثر من دقيقتين كاملتين، نَظرت له بدموع تركت أثرًا على وجهها:

- أنا آسفة...

قالتها بنبرة حزينة للغاية، فظل كما هو، صامتًا، أخذ نفسًا عميقًا.. وكأن روحه استردت مرة أخرى بعد فقدانها.. فارتسمت على وجهها ابتسامة صغيرة رغم دموعها:

- أأنت سعيد لرجوعي؟

أخذ نفسًا عميقًا للمرة الثانية، ثم قال دون أن ينظر إليها:

- أنا سعيد لأنك حيّة.. وأحييتني مرة أخرى بعد موتي.

رَبتت على كَتفه، فأردفت:

- أنا آسفة، أقسم لك أن كُل هذا حَدث بالرغم عني.

أومأ برأسه، فنظر إليها وعيناه مليئتان بالدموع:

- أين (نور)؟

صُدمت ملامحها.. وعادت الدموع بغزارة تلك المرة.. ففهم المقصود.. وظل ثابتًا..
حَتى أجهش بالبكاء..

* * *

- آآآآآآآه.. أنتم تُريدونني قويًّا ومتينًا يا حمقى.. أليس كذلك؟!

قالها (صلاح) بعدما وَقف أمام رجال الأمن الذين ضربهم بالعصا، أخذ منهم مسدساتهم وسكاكينهم، وكُل شيء، ثم وَقف أمامهم وهو يشهر مُسدسًا ويصوبه إليهم:

- أتريدون أن تروا (صلاح) الخطير! إن كنتم لا تُريدونه، فقولوا لي.. إلى أين ذَهب (أحمد)؟!

نَظر الرجلان إلى بعضهما وهما جاثيان على ركبتيهما، نظرا بتعجب.. فقال (صلاح) مرة أخرى:

- إنكم تودون إخراجي مما أنا فيه!

ثم تقدم (صلاح) خطوتين وضَرب الرجل في قدمه بقدمه.. لم يتألم الرجل، فأشهر (صلاح) المسدس مرة أخرى متعجبًا.. وقال بحزن:

- ألتلك الدرجة أصبحت ضعيفًا!

فقال واحد منهم بسخرية:

- نحن آسفون، لكننا ممنوعون من الحديث معك.. فلذلك لن نتحدث ولن نقول إلى أين ذهب صديقك.

تحولت ملامح (صلاح) من السخرية، إلى ملامح جادة قوية، فقال له:

- أهذا هو قرارك الأخير؟!

ازدرد الرجل ريقه، ثم قال بخوف شديد:

- نعـــ.....

وقبل أن يُكمل كلمته، استقبل رصاصة اخترقت رأسه من مُسدس (صلاح)، فارتعب الرجل الآخر رغم جُثته الضخمة، لكنه كان يخاف من رصاصة تأتي من المسدس لتقتله، اقترب (صلاح) منه.. وقال بلهجة قوية أشبه بالتهديد:

- ها.. هل ستكون مثله.. أم ستساعدني؟!

* * *

في الشروق، دَخلت (صفية) على (يوسف) إلى غُرفته هو وزوجته، رأت الغرفة فكانت خالية من أي شيء مُبهر، لم تجد سوى سرير واحد كبير بطول الغرفة، ولا أي شيء آخر..
دَخلت، فحيتهم بابتسامة رقيقة، ثم حياها (يوسف) واستأذنها أن تجلس، فقالت وهي تجلس:

- ألم تُفكر فيما طلبته منك؟

سُرعان ما ظهر الغضب على وجهه، فقال:

- لقد فَكرت وقُلت لكِ مُنذ يومين.. لن نذهب معك.. يَكفي ما نحن عليه.
- إنهم قتلوا ابنتك!

فتوقفت غاضبة بشدة، ثم قالت:

- يالجبنكم!

واتجهت ناحية الباب، خَرجت وأغلقته بقوة خلفها.

* * *

- هَل تَذكر عندما قُلت لك أنني سأذهب أنا و(نور) إلى رحلة بالقارب؟! كُنا بالفعل ذاهبين، لكن ونحن نسير بالسيارة، أتت سيارة أخرى وقَطعت طريقنا، فأخرجت هاتفي مُسرعة واتصلت بك كثيرًا، لكنك لم ترد.. كُنت أتصل وأركز في الطريق.. وأوقفتنا السيارة في منتصف الطريق.. لم أفهم من هُم؟! لكن سُرعان ما أدركت، نَزل اثنان من السيارة.. ثم أخرجاني أنا و(نور) من السيارة.. ووضعا على وجهينا رائحة جميلة.. كُل ما فعلته هو أني صرخت باسم (نور) وهو يبتعد عني.. ثم رأيت ظلامًا يَحل أمام عينيّ.

اعتدلت (رحمة) في جلستها، ونظرت إلى عيني (أحمد) مباشرة كما كانت تفعل دومًا، عين انكسرت وماتت مرة أخرى! فاستطردت (رحمة):

- استيقظت في غُرفة مليئة بجميع الأشياء الثرية.. أول ما رأته عينايهو شخص يدعى (سامر)، وَقف وعاملني باحترام شديد وكانت على وجهه ابتسامة مُريبة، لكني نَظرت له وقلت (أين نور؟)، قال لي أنه بأمان وأني سأراه، فقص لي ما يجب عليّ فعله، فهو قرر أن يختطفني من أجل مصلحتك، وقال لي أنه يعرفك جيدًا، يعرفك أكثر مني ومنك.. لكني لم أصدقه، لكن عندما عَرض عليّ تاريخًا بأكمله وحتى الأشياء التي لم تقصّها عليّ.. هو حكاها لي..

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أردفت:

- ووعدني بأني سأراك في أقرب فرصة، وأنه سيجعلني أتصل بك هاتفيًا كُل أسبوع، كانوا يعلمون أنك اخترعت جهازًا يجعلني أنا ونور نتصل بك نطمئنك على أنفسنا ونقول كلامًا يُشجعك.. كانوا يجعلوننا نُكلمك فعلًا يومًا ما في الأسبوع، عندما يعلمون أن الجهاز لن يتصل من تلقاء نفسه.

وَضحت معالم الدهشة على وجه (أحمد)، فاستطردت:

- أمَسك (سامر) هاتفي وقال (أرسلنا إليه رسالة بأنك توفيتِ، ولن تظهري له أبدًا الآن)، فجأة كَسر هاتفي بيديه الغليظتين، ثم تَركني وذهب..

اتسعت حدقتا (أحمد)، فقال وهو يقوم من مكانه:

- يجب أن نضع نهاية لتلك الشركة.

* * *

سار الرجل و(صلاح) يسير خلفه مُشهرًا مسدسه، كانا يسيران ببطء شديد، فجأة توقف الرجل أمام غُرفة (صفية)، نَظر إلى (صلاح)، ففتح الباب ودخل إلى الغرفة، دَخل ورأى كُل شيء في الغرفة، لكن لم يكن هُناك أيّ شيء ذي أهمية..
وتوقف الرجل أمام حائط، ضربه بيده ضربه رقيقة فأصدر صوتًا.
عَرف (صلاح) أن ذلك باب وليس حائطًا، فعقد حاجبيه وهو يقول:

- لِمَ صفية؟!

فنَظر الرجل إليه، فأردف:

- إن تُرِد السلامة، فلا تسأل.

دفع الرجل الباب بيديه، فانفتح مُسرعًا، فدَخل الرجل ووراءه (صلاح)، رغم أن (صلاح) يمتلك القوة الآن، لكنه خائف.. خائف مما ستفعله تلك الشركة به.. لكن يمتلك روح شجاعة صغيرة بداخله، تدفعه إلى أن يُكمل إلى الأمام.. ويعرف ما الذي ينتظره في نهاية ذلك النفق الكبير..
كان نفقًا واسعًا، يَربط بين طريقين، لكنه به كُل شيء، في كُل استراحة صغيرة بها زجاجة لبن ومياه، والكهرباء تَمد بالأكسجين، فعرف بلا أدنى ذكاء أن هذا النفق كبير للغاية، أخذ نفسًا عميقًا وظل يسير مع الرجل..
مَرت دقائق على هذا السير الممل، فقال الرجل:

- وَصلنا..

تهللت أسارير (صلاح).. لكن سُرعان ما عاد الخوف مرة أخرى.. عاد وبقوة عندما رأى تلك الأضواء الباهرة هُناك، وهناك باب زجاجيّ فقط يفصلهما عن ما بالداخل..
توقفا أمام البوابة، ثُم نَظر الرجل إلى (صلاح) نظرة شيطانية، فضربه مُسرعًا على وجهه، فسقط (صلاح) إثر الضربة وشعر بالدنيا تتراقص من حوله، وقف الرجل فوقه وأخذ يَضرب وجهه..
رَفع (صلاح) المُسدس ناحية الرجل، فضغط على الزناد.. فتأتي الرصاصة لتخترق صدره، فيقع قتيلًا على الفور..

بسبب الضربة، لم يستطع الرؤية جيدًا، لكنه رأى أشخاصًايركضون بشدة من داخل البوابة الزجاجية، تُفتح البوابة.. فيرى (صفية) ومعها (يوسف) و(كريستين)، ثُم صرخت فيدهشة:

- صلاح!!!!!!!!!!!!!!

* * *

الفصل التاسع: نهاية.

- ألم يحن الوقت للحديث إذن؟

قالها (سامر) بعدما دَخل عليهما الغرفة، نَظر (أحمد) إلى (سامر) نَظرة قوية، بدت على وجهه القوة، الشجاعة، لأول مرة لم يشعر بخوف قليل يُرجعه للوراء..
قام (أحمد) من ورائه، وكأن ما يحدث بالتصوير البطيء.. اتجه (أحمد) مُسرعًا مهرولًا تجاه (سامر)، ووجهه يشعّ نفس القوة والشجاعة.. سكت كُل شيء ولم يُسمع صوتٌ إلا صوت خطوات (أحمد) السريعة، قفز (أحمد) على (سامر) فأوقعه على الأرض، جلس فوقه وأخذ يُلكمه لكمات كثيرة على وجهه، وكُلما ضَرب لكمة يشعر قلب (أحمد) بارتياح لم يَشعربمثله قط.
ودخل أكثر من خمسة أشخاص مُشهرين مسدساتهم إلى الغرفة، لم يُبطئ (أحمد) عما يفعله، بل زاد إصراره على ضربه أكثر وأكثر، الغريب أن (سامر) كان مُستسلمًا لـ(أحمد)، لم يفعل أيّ شيء سوى أنه صمت تمامًا مُستقبلًا اللكمات بحرارة..
لم يتوقف (أحمد) إلا عندما أتى اثنان من ورائه وأوقفوه عن ضرب (سامر)، امتلأت قبضة (أحمد) بدماء (سامر)، فشعر بفرحة ولذّة غريبة.. لم تَصرخ فيه زوجته عندما ضربه، بل كانت صامتة هي الأخرى لا تفعل شيئًا سوى أنها ترى ما يفعله زوجها بعدوّها.. وتصمت وهي فَرِحَة من أعماقها.
استسلم لهم (أحمد) تمامًا، فوضعوه على المقعد وهو يبتسم لـ(سامر) تلك المرة، يبتسم له ابتسامة شيطانية بحق! كبّلوا قدميه ويديه، لم يفعل (سامر) أيّ شيء سوى أنه كان نائمًا على الأرض.. أغشي على (سامر) من كَثرة اللكمات، ومن كَثرة نزفه للدماء، فسالت الدماء من وجهه وفمه، ابتسم (أحمد) لزوجته وهي واقفة بعيدًا، فبادلته نفس الابتسامة، ابتسم لها وهو لا يَخشى شيئًا الآن..
كُل شيء انتهى.. حتى وإن لم يمت (سامر)، فهو فعل ما كان يتمناه.. فعل ما كان يريده.. فعل ما أشعره بالارتياح أخيرًا مُنذ أن وطأت قدماه ذلك الفندق..
لم تتحرك عيناه من على زوجته، بل كانا ينظران لبعضيهما، كانت خائفة عليه ومما سيجري له، لكنه كان يبتسم لها لكي يجعلها تطمئن قليلًا.. حاول جاهدًا أن يطمئنها، كانت على وجهها ابتسامة زائفة، فسقطت دمعة من عينها.. فشعر (أحمد) بالخوف عليها أكثر مما خاف على نفسه.. خاف أن تَذهب منه ثانيةً بعدما وجدها.
أفاق (سامر) من غيبوبته، فسرعان ما أوقفوه وأجلسوه على مقعد، وضعوا مَنديلًا على وجهه ومسحوا الدماء من عليه، كان (سامر) يشعر بألم كبير.. لم

يُسمع له صوت.. فوجّه (أحمد) ناظريه إليه.
تَكلم (سامر) بألم شديد في فمه حاول جاهدًا أن لا يُظهره:

- لقد أعطيناك فرصة، وقد خذلتنا.. لذلك، سنؤدبك.

تقدم رجلان من الوراء، وذهبا ناحية (رحمة)، وضعاها على مقعد آخر وهي تصرخ، كان (أحمد) يَنظر في عينيها دون أن يتكلم، فعرفت ما يقصده وصمتت، صمتت تمامًا.
جلست على المقعد دون كلام، كُبِّلت يداها وقدماها.. خَرج الخمسة رجال كما كانوا، ولم يعد سواهم في الغرفة.

* * *

- ماذا؟!! ألا تُريدون الخروج!! ألا تُريدون أن تأخذوا بثأرابنتكم؟؟! صامتون عن حَقكم خوفًا منهم وتنفيذًا لوعدكم معهم! يالكم من حمقى!

قالها (صلاح) بعدما قَصّ عليه (يوسف) القصة بأكملها، نَظر (يوسف) إليه:

- نحن لسنا بحمقى، أنتم الحمقى، أنتم لا تعرفون ما الذي يسببونه لنا من خوف، إنهم فعلوا بنا أشياء لم يفعلها بشر مثلهم!

صمت (صلاح)، ثم انفجر فجأة:

- وأنتم لا تعرفون ما الذي فعلوه بنا، لقد كُنا خمسة، أصبحنا ثلاثة، قُتلنا بطرق قذرة وفُعلت بنا أشياء أقذر.

حَوّل الحديث مباشرةً إليهم جميعًا:

- يا جماعة، أقسم لكم، نَحن نستطيع التغلب عليهم.. أنتم خائفون، أنا أعلم ذلك وأقدّره تمامًا، لكن.. دعونا نُحاول.. نعم الخسائر ستُصبح كثيرة.. لكننا في النهاية سننتصر، حتى ولو خَرج واحدٌ منا فقط بعد ذلك.. لكننا سنكون انتصرنا عليهم.. وهذا ما أريده، وبالتأكيد تريدونه!

نَظرت (صفية) إلى (صلاح) بابتسامة صغيرة، فقال (هاني):

- أنا معكم يا (صلاح)، أنا وزوجتي معكم.

إبتسم (صلاح) بفرح، فأردف مخاطبًا (يوسف):

- يا يوسف.. أرجوك!

نَظر إليه (يوسف)، فقام من مكانه، فوقف أمام الحائط في الصالة، وقال لـ(صلاح):

- مِن هُنا سنخرج ناحية الغرف التي يكون فيها (سامر) ومساعدوه.. لكن المشكلة أنهم مُسلحون.. يجب أن يكون معنا مُسدسات..
- معي حوالي خمسة مسدسات..
- جيد، أنا معي واحد، أعطاه لي (سامر) كي نؤمن أنفسنا به.

* * *

- كُل شيء انتهى يا أصدقائي.

لم يَفهم (أحمد) ما الذي يُريد أن يقوله (سامر) من تلك الجملة، فأخذ ينظر إليه بشرود، فأردف:

- لقد عِشت يا (أحمد) متألمًا بسبب وفاة زوجتك..

ثم اقترب منه وقال بصوت مُنخفض قليلًا:

- فما رأيك أن نجعلها متألمة بسبب وفاتك!

نَظر (أحمد) إلى (سامر)، ثم قال بهدوء شديد:

- أنا انتهيت مُنذ أن سمعت خبر وفاتها.. إن قتلتني فلا شيء جديد.. بالعكس، سأرتاح أكثر.

أومأ (سامر) برأسه دلالة على موافقته للكلام، فنظر إلى (رحمة) التي نظرت إليه بعينينامتلأتا بدموع العجز:

- ما رأيك يا أستاذة (رحمة)؟!

نَظر إليها (أحمد) بابتسامة خفيفة لكي يُهدأ من روعها، فهدأت قليلًا ولم تتكلم، فتحدث إليها (سامر) قائلًا:

- أنا أتحدث إليكِ يا (رحمة) هانم!

نَظرت إليه مرة أخرى، فقالت له:

- افعل ما تُريد فعله يا (سامر).

صُدم من ردة فعلها، وابتسم (أحمد) لها أكثر فأكثر، فنَظرت إليه وسالت منها الدموع بالرغم عنها، لم يتكلم (سامر) بل اتسعت عيناه مما سمع، لقد كان يظن أنها ستترجاه أن يرحمه أو يرحمها، لكنها لم تفعل ذلك..
قام (سامر) من مكانه ببطء، ولم تتحرك عينا (أحمد) من على عيني زوجته، ثم أخرج (سامر) مُسدسه من بنطاله، وقال لزوجته:

- أخيرًا سأكون سعيدًا..

وابتسم لزوجته، فثبت (سامر) المسدس أمام (أحمد)، كانت نظرات (سامر) تحمل القسوة، نظرة إبليسية آتية من جُهنم..
عَمّر مُسدسه، فنظرت (رحمة) إلى زوجها.. الدموع تنهمر من عينيها بغزارة، وهو ينظر إليها، فسقطت دمعة من عينه وهو ينظر إلى زوجته للمرة الأخيرة.
لتأتي رصاصة في قلبه، فتُنهي كُلَّ شيء.

* * *

ثم أصبح الفندق خواء..
هَرب من هَرب وظَلّ من ظَلّ.
لكن أغلبهم فَرّوا إلى أماكن كثيرة، في الغرفة كانت جُثة (أحمد) على المقعد كما كانت، وكما انتهى.
وَصل (صلاح) والمجموعة إلى نهاية النفق، فوجدوا البوابة مفتوحة.. دَخلوا من البوابة وهم لا يعرفون شيئًا، فأشهروا مسدساتهم جميعًا، وجدوا المكان خاليًا من أيّ بشري! إلا الغرفة التي بها (أحمد)..
نَظر (صلاح) يمينًا، فوجد جُثته مُتربعة على المقعد، لم يُصدق ما رآه..
وجد باب الغرفة مفتوح وجُثة (أحمد) أمامه، غارقة في دمها دون أن يهتم به أحد..
مات (أحمد) بعدما انتظر الموت بصدر رحب.
مات (أحمد) بعدما أعطاهم شجاعة لم يعرفوها قط..
مات (أحمد) بعدما دافع عنهم أولًا ثم دافع عن نفسه.
مات لأجل أن يصبح حُرًّا.
وَقف (صلاح) أمامه، وتلك الكلمات تجول بخاطره دون أن تهدأ، لمعت عيناه بعدما رآه بتلك الهيئة..
صرخ فيه (يوسف):

- يا صلاح، هيا لنكمل ما اتفقنا عليه!!
- سآخذه معي!

تعجب (يوسف):

- لا! لن نأخذه معنا!!
- لن أخرج إلا وهو معي.

تَقدم (يوسف) بخطوات مترددة، وعلى وجهه نَظرة مؤسفة، اقشعرّ بدنه من هيئة (أحمد).. فقال لـ(صلاح):

- هيا نُكمل ما بدأناه كي نصل لـ(سامر) قبل فوات الأوان.

حاول (صلاح) أن يَحمل (أحمد)، لكن لم يستطع بسبب ضعف جُثته، فقال (يوسف):

- سأحمله أنا..

حَمله (يوسف) بين يديه، شَحب وجه (صلاح) بعدما رأى جُثة صاحبه..
ثم ساروا، وانهارت (صفية) بعدما رأت جُثة (أحمد)، لكنه أكمل سيره دون حديث، ساروا بداخل الفندق، لكن (يوسف)توقف فجأة:

- (سامر) خرج من البوابة الخلفية.

نَظر إليه (صلاح) فى تعجب واضح:

- كيف عرفت؟
- البوابة الخلفية بداخل الغرفة التى وجدنا فيها تلك الجثة.

قالها (يوسف)، فنَظر إليه (صلاح) بغضب، ورَكض إلى الناحية الأخرى تجاه الغرفة، رَكض بشدة، سمع صوت (يوسف) وهو يُنادى عليه، لكنه لم يُبال.. بل يُبال فقط بالأخذ بثأر سماح التى قتلوها، وعبدالله الذى مات خوفاً من مصير مجهول، وأحمد الذى قتلوه غدراً.
يأخذ بثأر حياته التى أُنتهك عرضها، يأخذ بثأر حُريته الذى لن تُرد له مؤخراً إلا بالُذل والمهان.
دَخل الغرفة فرأى ذلك الكُرسى الذى كان يجلس عليه (أحمد) وهو يَلفظ أنفاسه الأخيره، وجد دماء على الأرض.. نَزلت دمعه من عينا (صلاح)، فأخذ يَضرب كُل جزء فى الحائط.. حَتى وجد الباب ينفتح بين يديه.
هُنا سَمع صوت (عبدالله) وهو يُدندن أغنيته.
ها هو الطريق
ها هى الحرية

إنه يرى الشمس تُلوح فى الأفق!، يرى الحدائق الخضراء.. لكم كان يفتقدهما!
إنها تُلوح فى الأفق
وَضع اولى خُطواته على الدرج، غير مُصدق ما هو فيه الأن!
إنها لا توافق على أن أكون جُزءً منها!

- لأ!

قالها (صلاح)، فأكمل صعوده على الدرج بإبتسامة كبيرة على وجهه:

- إنها وافقت يا (عبدالله).. لقد وافقت.

سُرعان ما وجد أمامه (سامر)، يبتعد عنه مسافة ليست بالكبيرة، نَظر إليه فوجد (سامر) يُلقى أنظاره عليه، بُهتت ملامح (صلاح) عندما سمع (سامر) معه فتاة، وجمدت ملامحه أكثر عندما سمعه يُنادى عليه:

- صلاح عابر أبو البر، تَقدم يا فتى.

كان يقولها بضحكة هازئة، ضحكة جلجلت المكان.. كان يود أن يَركض إليه.. لكنه سُرعان ما تذكر أنه نَسى أشخاص بداخل الفندق!
إنقبض قلبه، لكن سمع صوت (سامر) يقول إليه مُجدداً:

- غُلق الفندق تماماً.. لن يخرج أى شخص من الداخل للأبد، لقد كُنا ننتظرك وحدك يا صديقى.

لا مفر من المواجهة إذاً، رَكض (صلاح) بشدة بعدما إجتاح الغضب وجهه، لكن كان هُناك بعض الجُبن والقلق يدفعاه إلى الخلف.. لكنه يحاول تجاهلهما..
يود أن يسحق رقبة (سامر) ذلك الملعون فى رأيه، يقترب منه تماماً فيجد سامر واقفاً إليه مُرحباً، بإبتسامة واسعة تدل على الثقة وعدم الخوف.. أى نوع من البشر هذا؟
رَفع (صلاح) المُسدس تجاه (سامر) فرفع الأخير يده مُستسلماً إليه، لم يكن يعلم من تلك الفتاة.. لكن من هيئتها علم أنها لن تُشكل خطراً عليه.. سَمع صوت (سامر) ينطلق:

- فلتسمعنى ومن ثم تقتلنى..

نَظر (صلاح) إليه نظرة غامضة، فأستطرد (سامر):

- الشركة تعرض عليك أن تُصبح رئيسها بعدي.. ستوفر لك كُل شيء.. صدقني، هذا عرض لا يُرفض.. فَكر به، ومن ثم ستأتيك رسالة للإجابة بنعم أم لا.. لكنك ومع الأسف.. ستختار نعم بالرغم عنك.

إبتسم (صلاح) إبتسامة هازئة، فرد على (سامر) برصاصة أتيت فى كتفه بالضبط، فسقط مباشرة على الأرض محاولاً أن يُدارى ألمه، لكن كُل محاولاته فشلت بعدما سقطت دمعة من وجه (سامر)، فقال إلى (صلاح) بتعب وألم واضحين:

- كُنت أعلم مُنذ وطأت قدماى تلك الشركة أن تلك ستكون نهايتى.. حاول أن تَرفض يا (صلاح).. أرجوك حاول.

ثم نَظر إلى السماء، ليجدها تُرسل ماءها العذبة لتُنقى الأرض من قذوراتها، فقال (سامر) بعدما أغمض عيناه وأشتد المطر:

- أنا أسف لكل ما فعلته بكم.

شعر (صلاح) بألم فى قلبه مُباشرة بعدما سمع ذلك الكلام، ولكنه شعر بأن (سامر) يود أن يقول كلمة أخيرة، فجثي (صلاح) على رُكبتيه، وسمعه يقول:

- أنا أول شخص أجريت عليه التجربة، أُجريت عليّ قبلكم جميعاً.

لم يكمل كلماته التى أراد أن يُوصلها.. لإن الموت قد أراد الوصول إليه أخيراً.. نَظر (صلاح) إلى السماء بعدما أشتد المطر، وأغمض عيناه فى راحة وحُرية.. نَظر إلى تلك الفتاة التى جلست بجوار (سامر) بتأنى وهدوء وسكينه، دموعها تسقط فى هدوء تام، فقال لها:

- من أنتِ؟

لم تنظر إليه، بل قالت:

- أنا رحمة.

عَقد (صلاح) حاجبيه، وقال:

- رحمة!، رحمة من؟
- زوجة أحمد..

إتسعت عيناه من إثر الصدمة، فحاول أن يتكلم لكنها قاطعته:

- إنه سعيد الأن..

فهم ما ينبغى عليه فهمه، فأستطردت:

- إنه حصل على الحرية التى كان يرجوها.

نَظرت إلى السماء فى رضا، والدموع تتساقط من عينيها، شعر (صلاح) بُحزن شديد، فذهب إليها.. وأحتضنها..
إبتسمت وهى بين أحضانه.. وأشتد المطر .. فنهض وساعدها على النهوض..
ثم بدأوا فى السير..
بعيداً بعيداً...
ها هو الطريق..
ها هى الحُرية..

* * *

الفصل العاشر: خاتمة.

"إلى عبدالعزيز عاطف خفاجة"...
نحن الشركة العالمية لتنمية المواهب، نعم نحن نعلم أنك تلعب كُرة القدم باحتراف، راقبناك وأنت تلعب في مدرستك.. مع أصدقائك، في الشارع، في النادي، في كُل منطقة كُنا هناك.. كُنا نراك.
أنت موهبة يا عبدالعزيز، لكنك موهبة مدفونة، يجب أن ننقذك مُسرعًا من دفنك هذا ونُخرجك من التراب قبل فوات الأوان.. علمنا أن إخوانك (عبد الله وسعيد) اختفوا في ظروف غامضة مُنذ عامين، نرجوا أن يكونوا بخير وأن يعودوا إليك سالمين غانمين، تلك هي فُرصتك للنجاة يا صديقي، يجب أن تكون معنا وتصبح واحدًا منّا.. وصدقني.. كُل من جاءوا وعاشوا معنا كانوا أسعد بشر على وجه الكون، لقد وجدوا ضالتهم عندما جاءوا، وخرجوا سعداء وكانوا يتمنون أن يعيشوا أكثر من ذلك في هذا الفندق..
ستعيش معنا لمدة عام ونصف، ستكون سعيدًا للغاية، سنجعلك مُحترفًا للعب كُرة القدم، من لعبوا قبلك ذهبوا الآن إلى أوروبا، فنحن شركة تخلق من التراب ذهبًا.. سنجعلك أغنى لاعب على وجه الأرض..

سننتظرك يوم الخميس في فندق المصري، لابُدّ وحتمًا أن تأتي.. فإنها فُرصة لك بأن تكون من أكثر الناس غنى في العالم كُله!

تحياتي:
صلاح عابر أبو البر

تمت

2015/7/4

التعريف بالكاتب:
محمود يوسف خواجة، وُلد عام 2001 فى محافظة البحيرة، له ثلاثة روايات منها (6) التى حققت نجاحاً باهراً منذ صدورها على موقع عصير الكتب حتى الأن، ورواية (اختلال) التى صدرت فى معرض الكتاب الفائت وحققت نجاحاً مقبولاً.

شُكر خاص:
دميانة مصري
سارة صلاح
رحمة قاسم
سارة ناصر
محمود بَكري
عُمر الحضري
مجموعة (شبابيك)
مجموعة (عصير الكُتب)

/https://www.facebook.com/groups/Book.juice

وفي النهاية أودّ شُكر كُل شخص قرأ العمل دون سابق معرفة، أنتظر جميع الآراء سواء بالإيجاب أوالسلب على صفحة الرواية على جود ريدز وفيس بوك، وأتمنى أن تكون نالت الرواية إعجاب كُل من قرأها.. أراكم في رواية أخرى:)